دراســـات
فــي البــلاغــة الإدراكيـــة



تأليف

د. إبراهيم بن منصور التركي

أستاذ البلاغة في جامعة القصيم



الطبعـة الأولـى

٢٠١٩ م

دراسات

في البلاغة الإدراكية

تأليف

د. إبراهيم بن منصور التركي

أستاذ البلاغة في جامعة القصيم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

التركي ، ابراهيم بن منصور

دراسات في البلاغة الإدراكية. / ابراهيم بن منصور التركي -

بريدة ، ١٤٤١ هـ

١٢٨ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٨-٢٢٨٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- البلاغة العربية ٢- الاستعارة (بلاغة عربية) أ. العنوان

ديوي ٤١٤ ١٤٤١/٢١٩١

رقم الإيداع : ١٤٤١/٢١٩١

ردمك : ٨-٢٢٨٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء ..

إلى ابني أحمد ..

..

أهدي هذا العمل المتواضع ..

والدك ،،،

المقدمة

بدأ اهتمامي باللسانيات الإدراكية منذ اثني عشر عاماً تقريباً، وذلك عندما وقعت عيني على ما كُتب في اللسانيات الإدراكية عن مبحث (الاستعارة)، وقد أدهشني التصوّر الجديد الذي طرحته اللسانيات الإدراكية حول الاستعارة، فقد كان مختلفاً عن التصوّر الذي أَلِفتُه وعرفتُه في الدراسات البلاغية قديمها وحديثها.

هذا الإعجاب دفعني إلى كتابة بحث عن الاستعارة يقارن بين تصور علماء البلاغة العربية وتصور اللسانيات الإدراكية، وقد حُكّم البحث وأجيز للنشر في مجلة الدرعية عام 1429 هـ قبل أن تتوقف عن الصدور، وأعدتُ نشر البحث ضمن كتابي (توظيف أدوات البلاغة في النص المعاصر).

ويأتي هذا الكتاب امتداداً لذلك الاهتمام بالدراسات الإدراكية، حيث أحاول هنا أن أسلّط الضوء على استفادة الدراسات البلاغية من هذه الرؤى الإدراكية، وهو ما يُعرف الآن بـ (البلاغة الإدراكية).

لقد حظيت الدراسات الإدراكية منذ ظهورها بعناية فائقة عند عدد كبير من الباحثين، وفي مجالات علمية مختلفة، سواء أكان ذلك عبر الجهود التنظيرية أو عبر الأعمال التطبيقية. "ومع هذه الأعمال التطبيقية التي صاحبت هذه التنظيرات أو تلتها اقترح باحثون آخرون إعادة النظر في مجالات بحث كلاسيكية قاربت لغة الخطاب وبلاغته وأسلوبه، وإعادة تناول كل ذلك من زاوية أخرى هي الزاوية الذهنية المعرفية، فظهرت بذلك... البلاغة المعرفية، الشعرية المعرفية، الأسلوبية المعرفية، التداولية

المعرفية"[1]. ويعد العالمان جورج لاكوف ومارك ترنر من أهم رواد "البلاغة الإدراكية"[2].

لقد ظهرت البلاغة الإدراكية Cognitive Rhetoric مستضيئة بإنجازات اللسانيات الإدراكية، وساعية إلى تطبيق رؤاها في دراسة بلاغة الخطاب الإنساني، وهو ما ستحاول هذه الصفحات الحديث عنه من خلال ثلاثة فصول. يأتي الفصل الأول منها ليتحدث عن (التأطير والاختيار الإنساني)، حيث ترى اللسانيات الإدراكية أننا ندرك اللغة من خلال أطر معرفية تؤثر على قرارنا واختيارنا. وقد حاولتُ عرض ذلك نظرياً، ثم تطبيقياً من خلال الكشف عن تأثير التأطير في اختلاف رأي علماء البلاغة التراثية عن رأي النقاد المعاصرين حول مقاييس الفصاحة.

ويأتي الفصل الثاني ليتحدث عن (الاستعارة والبعد الفكري)، ويعرض هذا الفصل كون الاستعارة بنية ذهنية لا يستغني عنها التفكير الإنساني، ويشير الفصلُ إلى تأثّر استعاراتنا أحياناً بالجوانب الفكرية والثقافية، وتأثيرها إثر ذلك في قناعات الإنسان وأفكاره، وقد عرضتُ هذا تطبيقياً من خلال الخطاب الإعلامي الوطني السعودي.

أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه (ثنائية الشكل والخلفية وتجلياتها الأسلوبية)، حيث يقوم على هذه الثنائية عدد من الدراسات الإدراكية، مثل النحو الإدراكي والأسلوبية والشعرية الإدراكية والبلاغة الإدراكية، وقد حاولت إيضاح هذا نظرياً

---

(1) (بعض من مشاريع البلاغة المعرفية، مارك ترنر أنموذجا)، د.عمر بن دحمان. بحث منشور في مجلة الخطاب، عدد 21، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي أوزو، الجزائر، 2016م، ص 111.

(2) انظر: السابق ص 112.

وشفعت ذلك بأنموذج تطبيقي يعرض كيف يمكن الاستفادة من ذلك في القراءة البلاغية.

وأشير إلى أني قد قمت بإجراء تعديلات يسيرة على هذه البحوث لتتناسب مع طبيعة الكتاب، حيث اختلفتْ قليلاً عن نشرها السابق، حيث نُشر الفصل الأول ضمن كتاب مؤتمر كلية اللغة العربية بجامعة القصيم (قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي) 1440– 2019، ونُشر الفصل الثاني الخاص بالاستعارة ضمن عدد مجلة فصول عن (الإدراكيات)، العدد 100، 2017.

وقد حاولتُ الجمع بين التنظير والتطبيق، حيث حرصت على تقديم تصوّر اللسانيات الإدراكية النظري الذي يشرح المفهوم الأساسي الذي يقوم عليه الفصل، فعرضت مفهوم .(التأطير) في الفصل الأول، ومفهوم (الاستعارة) الإدراكي في الفصل الثاني، ومفهوم (الشكل والخلفية) في الفصل الثالث.

كما حرصتُ على أن أقدم نماذج تحليلية تطبيقية تكشف كيفية الاستفادة من هذا المفاهيم الإدراكية في الدراسة البلاغية، حيث تضمّن كل فصل قراءة بلاغية إدراكية لنص أو مجموعة من النصوص للكشف عن سبل الاستفادة العملية التحليلية من المفاهيم المطروحة في الدرس البلاغي.

وقبل الختام أشير إلى أني حرصت على تيسير العرض النظري والتطبيقي، وابتعدت قدر الإمكان عن ضخّ المصطلحات العلمية الجديدة التي قد تعيق القارئ عن التواصل والفهم الجيد، فقد كان تركيزي منصباً على عرض الأفكار بشكل ميسّر يمكّن مَن لا يملك خلفية سابقة عن الإدراكيات من أن يقرأ ويفهم ويستفيد.

ولا أجد في الختام إلا توجيه الشكر لكل من مدّ لي يد العون بالتوجيه أو الاقتراح أو التقويم، وأخص بالذكر الصديق والزميل الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالعزيز زيد الذي شرّفني بعد قراءة مسودّة البحث ببعض ملحوظاته القيمة.

هذا، والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا الكتاب قارئه وكاتبه، وأن يكتب ما بذلوه من جهد في كتابته أو قراءته في موازين أعمالهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د.إبراهيم التركي

سان فرانسيسكو

سبتمبر 2019

الفصل الأول:
التأطير والاختيار الإنساني

– مقاييس الفصاحة بين التراث والمعاصرة أنموذجا –

يحاول هذا البحث النظر في أثر (التأطير) على القرار والاختيار الإنساني، وقد قام بعرض ذلك بشكل نظري عرّف فيه بمفهوم التأطير في اللسانيات الإدراكية، ثم حاول الكشف عن هذا أثر المفهوم عملياً على اختلاف القدامى والمعاصرين حول مقاييس الفصاحة. وقد تناول البحث موضوعه من خلال ثلاثة مباحث، يتحدّث المبحث الأول منها عن مقاييس الفصاحة في التراث البلاغي، وذلك عند البلاغيين المتأخرين تحديداً، ويعرض ما قالوه وما وضعوه من قواعد تضبط فصاحة الكلمة والكلام. ويعرض المبحث الثاني الموقف النقيض الذي اتخذته بعض الدراسات النقدية المعاصرة من مقاييس الفصاحة في البلاغة التراثية، متناولا أبرز الانتقادات التي أخذتها هذه الدراسات المعاصرة على هذه المقاييس. ثم يأتي المبحث الثالث ليقرأ الموقفين، موقف القدامى وموقف المعاصرين من الفصاحة، في ضوء مفهوم التأطير الذي طرحته اللسانيات الإدراكية، حيث عرّف هذا المبحث بداية بمفهوم (التأطير)، ونظر في كيفية الاستفادة من هذا المفهوم في تفسير التباين بين الوجهتين القديمة والمعاصرة.

إننا نفهم كل لفظ في ضوء إطار عام يُعدّ هذا اللفظ جزءاً منه، وبدون هذا الإطار لا يمكن فهم معنى اللفظ، حيث إن هناك منظومة ذهنية ترتبط بدلالة اللفظ. إن هذا يعني بأن كل لفظٍ يُفهم في ضوء إطار أشمل يسهم في تحديد دلالة اللفظ. فمثلاً لفظ (دواء) يفهم في ضوء إطار (الصحة والمرض)، ولفظ (سلعة) يُفهم في إطار (عملية البيع والشراء).

ومن المستحيل حسب اللسانيات الإدراكية تصوّر معنى اللفظ دون إطاره الإدراكي، ولا يؤدي الإطار إلى فهم معنى اللفظ فقط، وإنما هو يؤثر كذلك في طبيعة السلوك والقرار الإنساني الذي ينتج عنه استعمال ذلك اللفظ، ولهذا تؤكد الدراسات المعاصرة بأن المشكلة الواحدة قد يختلف القرار والاختيار الإنساني حولها بحسب الإطار الذي تصنعه الكلمات في ذهن سامعيها، وقد أثبت هذا علميا وعملياً باحثان في ورقة علمية لهما بعنوان (تأطير القرار وسيكولوجية الاختيار)، حيث طرحا خلال هذه الورقة مشكلة مفترضة وعرضوها على مجموعتين من الناس من أجل اتخاذ قرار لحل المشكلة، وكانت النتيجة التي توصّل إليها الباحثان بأن قرار المجموعة الأولى اختلف جذرياً عن قرار المجموعة الثانية، بسبب اختلاف الإطار الذي شكّلته الكلمات المستخدمة في أذهان أفراد كل مجموعة[1]. ويمكن أن أستوحي المثال الآتي لشرح الفكرة من خلال ما طرحه الباحثان، لنفترض أن لدينا قرية عدد سكانها **600** شخص وقد أصاب أحد الأمراض المعدية القاتلة الفتّاكة كل سكان القرية، فأعلنت إحدى شركات الأدوية الكبرى في العالم اكتشافها دواء يعالِج هذا المرض، ولكن استخدام *الدواء سيكون سبباً في قتل وموت نصف أهل القرية*، فلو كنت أنت صاحب القرار: هل ستوافق على استخدام الدواء أم لا؟. إنه لمن المتوقع أنك سترفض استخدام الدواء.

ولكن لو أعيد السؤال نفسه: بتغيير يسير وهو القول بأن *هذا الدواء سيكون سبباً في نجاة وحياة نصف أهل القرية*، فهل ستوافق لو كنت صاحب القرار على

---

(1) Look; *The framing of decisions and the psychology of choice*, A Tversky, D Kahneman, Science 30 Jan 1981: Vol. 211, Issue 4481, p 453.

استخدام الدواء؟. من المتوقّع أيضاً أنك ستوافق على استخدام الدواء. فاختلف القرار لاختلاف الإطار الذي يضعنا فيه اللفظ المستخدم، ففي المرة الأولى وُضِع السامعون في إطار الخسائر الفادحة التي ستنتج عن استخدام الدواء، والذي صنعته ألفاظ القتل والموت لذلك رفضوا أن يكونوا سبباً في قتل أو موت أحد، وفي المرة الثانية وُضِع السامعون في إطار المكاسب المضمونة المتمثلة في إنقاذ الناس وحماية حياتهم، والذي صنعته ألفاظ الحياة والنجاة لذلك وافقوا على استخدام الدواء، رغم أن النتيجة في الحالتين واحدة، حيث من المتوقع كما يقول السؤال أن يموت بعد استخدام الدواء نصف أهل القرية وأن ينجو نصفها الآخر، لكن القرار بإعطاء الدواء اختلف باختلاف الإطار الذي صنعته الكلمات للسامعين.

ويهمّنا في هذا التصور الذي تقدمه هذه الرؤية التأكيدُ على أن كل لفظ يستدعي إطاراً مفهومياً يحكم فعل اللغة والموقف الإنساني، بحيث يغدو هذا الإطار موجّها مهماً لموقفنا ورؤيتنا. وهو ما ستوضّحه المباحث الثلاثة القادمة.

المبحث الأول: مقاييس الفصاحة عند البلاغيين المتأخرين:

الفصاحة في اللغة هي الظهور والبيان، قال في لسان العرب: "الفصاحة: البيان.... وأفصح الشيء إفصاحاً: إذا بيّنه وكشفه"[1]. وأما اصطلاحًا فلم يقدّم البلاغيون تعريفًا لها، بل اكتفوا بتعداد ما يخلّ بفصاحة الكلمة والكلام. ولكن من خلال ما ذكروه هناك نستطيع أن نقول إن الفصاحة هي موافقة الكلام لسنن وأساليب الكلام العربي الأصيل صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة. وفي هذا المبحث يتحدث البلاغيون[2] عن فصاحة الكلمة المفردة، وفصاحة الكلام.

أولاً: فصاحة الكلمة

يُرجِع البلاغيون عدم فصاحة الكلمة إلى أسباب، أشهرها الأسباب الثلاثة التالية:

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة ف ص ح. وينظر: معجم البلاغة العربية، د.بدوي طبانة، ص 499.

(2) لم يفصّل عبدالقاهر في الحديث عن الفصاحة، وكتب عنها السكاكي كلاماً مختصراً. وقد فصّل الحديث فيها القزويني وشرّاح التلخيص، وأشير إلى أن حديثي عن (فصاحة الكلمة والكلام) مستل من كتابي (تيسير علم المعاني).

1-تنافر الحروف[1]:

وذلك عندما تكون الحروف التي تتكون منها الكلمة متنافرة، ثقيلة على اللسان، كما في قول الأعرابي الذي سألوه عن دابته أين تركها؟ فقال: تركتها ترعى (الهُعْخُع)[2]، فإن كلمة (الهعخع) كلمة يجد اللسان صعوبة في نطقها، ويجد نشازًا عند سماعها، لذلك كان إيرادها مخلاً بفصاحة الكلام.

ومن ذلك أيضا قول امرئ القيس يصف تبعثر شَعْر المرأة:

غدائره مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلا[3]

فإن في كلمة (مستشزرات) ثقلاً واضحًا عند النطق بها، أو عند سماعها. ولذلك عدّوها مما يخلّ بفصاحة الكلمة.

2-الغرابة[4]:

وهي أن تكون الكلمة المستعملة غير واضحة في الدلالة على معناها. ويأتي ذلك على صورتين:

---

(1) انظر: الإيضاح (مع البغية)، القزويني، 1/ 12، مفتاح تلخيص المفتاح، الخلخالي، ص34 ، عروس الأفراح، السبكي 1/ 57 ، مختصر السعد، التفتازاني، ص20، المطول، التفتازاني، ص140، مواهب الفتاح، ابن يعقوب المغربي، 1/ 110.

(2) هكذا تُكتب الكلمة في كتب البلاغيين بالهاء، بينما هي في معاجم اللغة (الخُعْخُع) بالخاء، وهي ضربٌ من النبات كما يقول ابن منظور. انظر: لسان العرب مادة (خ ع ع) 1207/2.

(3) ديوان امرئ القيس ، ص 115 .

(4) انظر: الإيضاح (مع البغية)، القزويني، 1/ 13، مفتاح تلخيص المفتاح، الخلخالي، ص38 ، عروس الأفراح، السبكي، 1/ 61 ، مختصر السعد، التفتازاني، ص 22، المطول، التفتازاني ص 141، مواهب الفتاح، ابن يعقوب المغربي، 1/ 113.

أ–أن تكون الكلمة معجمية لا يُعرف معناها إلاّ عبر التنقيب عنه في كتب اللغة ومعاجمها. كما في قول عيسى بن عمر وقد سقط وهو يمشي فتجمهر الناس حوله، فقال: (ما لَكُمْ تَكَأْكَأْتُم عليَّ كتكأْكُئكُم على ذِي جِنَّةٍ ؟ افْرَنْقِعُوا عنِّي)، فإن الألفاظ (تكأكأتم، تكأكئكم، افرنقعوا) من الغريب غير المستخدم في الكلام، بل هي من الألفاظ المعجمية ولذلك يعدّ إيرادها مخلاً بفصاحة الكلام.

ب–أن تحتمل الكلمة أكثر من معنى حيث لا يستطيع المتلقي أن يعرف أيها أراده المتكلم. ومن ذلك قول الشاعر يصف (المرسن):

وفاحمًا ومَرْسنًا مسرَّجًا[1]

فقد وصف المرسن بأنه (مسرّج)، وقد اختلف الشراح في المقصود به هنا، هل هو مأخوذ من السراج، فيكون المعنى بأن المرسن مضيء كالسراج، أو أنه نسبه إلى سُريج صانع السيوف الجيدة القوية، فيكون المعنى أن المرسن قوي الصنع كالسيوف السريجية. ولهذا الإبهام وعدم معرفة المقصود بالمعنى المراد عدّه البلاغيون مما يخلّ بفصاحة الكلمة.

(1) ديوان العجاج ، ص 360.

3- مخالفة القياس الصرفي[1]:

وذلك بأن تُبنى الكلمة خلافًا لقواعد بناء الكلمة التي قررتها قواعد علم الصرف.

كما في قول الشاعر:

الحمد لله العليّ الأجللِ [2]

فإن كلمة (الأجلل) تقتضي قواعد الصرف فيها إدغام اللامين ببعضهما، حيث يقال (الأجلّ)، ولكن عندما خالف الشاعر قواعد الصرف صار ذلك مخلا بفصاحة الكلمة.

ثانيًا: فصاحة الكلام

هنا يتحدث البلاغيون عن مقاييس الفصاحة التي تخل بالكلام عند التركيب، ويُرجِع البلاغيون أسباب عدم فصاحة الكلام إلى أمور، أشهرها الثلاثة التالية:

1- تنافر الكلمات[3]:

---

(1) انظر: الإيضاح (مع البغية)، القزويني، 1/ 15، مفتاح تلخيص المفتاح، الخلخالي، ص 41 ، عروس الأفراح، السبكي، 1/ 63 ، مختصر السعد، التفتازاني، ص 23، المطول، التفتازاني، ص 143، مواهب الفتاح، ابن يعقوب المغربي، 1/ 116.

(2) ورد البيت في لسان العرب في مادة ج ل ل.

(3) انظر: الإيضاح (مع البغية)، القزويني 1/ 18، مفتاح تلخيص المفتاح، الخلخالي، ص 45 ، عروس الأفراح، السبكي 1/ 76 ، مختصر السعد، التفتازاني، ص 25، المطول، التفتازاني، ص 145، مواهب الفتاح، ابن يعقوب المغربي، 1/ 119.

وذلك بأن تتضمن الكلمات مجموعة من الحروف التي تتكرر بشكل يعيق قدرة اللسان على النطق بها بطلاقة، وهو ما يثقل أيضا على الأذن عند سماعها كما في قول الشاعر:

وقبرُ حرْبٍ بمكانٍ قفرُ .... وليس قرْبَ قبرِ حرْبٍ قبرُ [1]

ففي هذه البيت تكررت أصوات (القاف، والراء، والباء) بشكلٍ كبيرٍ، مما جعل تكرارها ثقيلاً على الأذن واللسان، لذلك قيل إنه مخل بفصاحة الكلام.

2- ضعف التأليف[2]:

وذلك عندما يتم إهمال القواعد التي تربط أجزاء الكلام بعضه ببعض، كالضمائر مثلا التي وضع أهل النحو قواعد لاستعمالها، فضمائر الغيبة لا بد أن تعود على متقدم، ولا يجوز عودها على متأخرٍ عنها في اللفظ والرتبة[3]، كقول الشاعر:

جَزي ربُّهُ عنّي عديَّ بن حاتمٍ ... جزاء الكلابِ العاويات وقدْ فعلْ[4]

---

(1) ورد البيت غير منسوب لقائل في: نهاية الإيجاز ، الرازي، ص 123.

(2) انظر: الإيضاح (مع البغية)، القزويني 1/ 18، مفتاح تلخيص المفتاح، الخلخالي ص45 ، عروس الأفراح، السبكي 1/ 75 ، مختصر السعد، التفتازاني، ص 25، المطول، التفتازاني، ص 145، مواهب الفتاح ، ابن يعقوب المغربي، 1/ 118.

(3) هذا هو الأصل، ولكن يجوز عود الضمير على متأخر في اللفظ والرتبة في سبعة مواضع ذكرها ابن هشام في مغني اللبيب، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، 2/ 489.

(4) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه ، شرح: غريد الشيخ، مؤسسة النور للمطبوعات ، ص 79.

فإن الضمير في (ربه) يعود على (عدي بن حاتم)، وهو متأخر في اللفظ والرتبة، ولذلك عُدّ هذا مما يخلّ بفصاحة الكلام[1].

3- التعقيد[2]:

وذلك عندما يصل الكلام إلى درجة من عدم وضوح المعنى المراد منه، إما لسبب في اللفظ أو لسبب في المعنى، ولذلك قسم البلاغيون التعقيد قسمين:

(أ) التعقيد اللفظي:

ويحدث ذلك عندما تتداخل أجزاء الكلام في بعضها، ولا يُراعى فيها الأصول التي قررها النحو لترتيب أجزاء الكلام، كما في قول الفرزدق:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إلاَّ مُمَلَّكًا *** أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ [3]

فإن مقصد الشاعر أن يقول: وما مثل هذا الممدوح في الناس حيٌّ يقاربه ويشبهه في الفضائل إلا مملكا أبو أم ذلك المملك أبٌ للممدوح. وخلاصة المعنى أنه لا يماثل الممدوح إلا ابن أخته. فانظر كيف تعسّف وعقّد في التركيب واللفظ ليعبّر عن هذا المعنى، حيث فصل بين المبتدأ (مثله) وخبره (حي)، وبين الصفة (حي) والموصوف (يقاربه)، ووالى بين الضمائر بصورة يعسُر على الذهن الوصول إلى مراجعها بسهولة.

---

(1) يجوز عود الضمير على متأخر في اللفظ فقط دون الرتبة، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ .

(2) انظر: الإيضاح (مع البغية)، القزويني 1/ 19، مفتاح تلخيص المفتاح، الخلخالي ص45 ، عروس الأفراح، السبكي 1/ 79 ، مختصر السعد، التفتازاني، ص 25، المطول، التفتازاني، ص 145، مواهب الفتاح، ابن يعقوب المغربي 1/ 120.

(3) البيت للفرزدق. انظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص 83.

(ب) التعقيد المعنوي:

يحدث التعقيد المعنوي عندما يستعمل المتكلم واحدًا من الأساليب البيانية بصورة تخالف طريقة استعمالها الواردة عن العرب، لأن المستمع يبقى في حيرة من المعنى الذي أراده المتكلم، أيحمله على معناه الوارد عن العرب، أم المعنى الذي قصده المتكلم؟. وذلك مثل أن يقول أحدٌ: (عليٌّ كالأسد)، وهو يقصد بهذا التشبيه كثرة الشَّعْر حول وجه علي، أو سوء رائحة فمه، فإن هذا من التعقيد المعنوي، لأن المعنى المتواتر عن العرب دلالة هذا الأسلوب على الشجاعة.

ومن ذلك قول الشاعر:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا *** وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا [1]

فإن الشاعر يريد أن يقول إنه سيبتعد عن ديار الحبيبة حتى يزداد حبها وتزيد قربًا إلى قلبه، وأن عينه ستسكبان الدموع على فراقها لتسهم هذه الدموع في جمود وسكون عينيه المتألمتين من عدم رؤية الحبيبة. ويرى البلاغيون أن الشطر الثاني من التعقيد المعنوي، لأن (جمود العين) من الكنايات المشتهرة عن العرب، ولكنها تقال: عند بخل العين بالدمع، وليس عند سكونهما وارتياحهما. ولذلك يعدّ هذا الشطر تعقيدًا معنويًا لاستعمال الكناية في غير معناها الوارد عن العرب.

---

(1) ديوان العباس بن الأحنف . ص 106.

إنه لمن الواضح بأن هذه المقاييس انطلقت من المستويات اللسانية المعروفة، حيث يدخل تنافر الحروف وتنافر الكلمات في المستوى الصوتي، وتدخل مخالفة القياس الصرفي في المستوى الصرفي، ويدخل ضعف القياس النحوي والتعقيد اللفظي في المستوى التركيبي، وتدخل الغرابة والتعقيد المعنوي في المستوى الدلالي.

المبحث الثاني: مقاييس الفصاحة في الدراسات المعاصرة:

يجري نقاش واسع في الدراسات المعاصرة حول جدوى مقاييس الفصاحة في النظر بها إلى بلاغة الكلام والكشف عن جمالياته، فقد ذهب عدد من الباحثين المعاصرين إلى عدم جدواها، وتجاوُز الدرس المعاصر لهذه الأحكام.

حيث يذهب د.إبراهيم أنيس مثلا إلى أن الدراسات الصوتية الحديثة قد أثبتت عدم دقة مفهوم القدامى عن تنافر الحروف، حيث يجب أن يُنظر فيه إلى توالي الأصوات غير المفصولة بحركة، فالتنافر والثِقَل يحدثان عند اجتماع صامتين متقاربي المخرج غير مفصولين بصائت، وهو ما لايتحقق في كثير من شواهد البلاغة التراثية للتنافر. كما أنه يعزو ما سمّاه البلاغيون بالتنافر إلى أمرين: الجهد العضلي عند النطق بالصوت، وقلة شيوع استعمال الكلمة[1].

وقد حاول د. بكري شيخ أمين في كتابه (البلاغة العربية في ثوبها الجديد) أن يراجع بعض شواهد تنافر الحروف التي عدها البلاغيون مما يُخل بالفصاحة، وأن يعيد النظر إليها في ضوء ما يسميه علماء الأصوات بحكاية الصوت للمعنى (الأناموتوبيا)[2]، وأن يكشف حسب رأيه أن ما عده البلاغيون معيباً ومخلا بفصاحة الكلام بسبب تنافر الحروف هو في قمة البيان والبلاغة، مؤكدا بأن بعض تلك المواضع

---

(1) ينظر: موسيقى الشعر، ص 32 وما بعدها.

(2) يرتبط هذا الحديث بالخلاف في نشأة اللغة وهل هي نتيجة المحاكاة أم أنها اعتباطية عرفية. والراجح أنها عرفية لكن هناك عدداً من ألفاظ اللغة قد تبدو ناتجة عن المحاكاة، بحيث تحكي أصوات الكلمة معناها، مثل القهقهة والزقزقة والخرير والقطْع..إلخ.

التي عابها البلاغيون لمخالفتها مقاييس الفصاحة يمكن أن تُستجاد حسب النظرة البلاغية المعاصرة[1].

كما تكلم في نقد هذه المقاييس د.تمام حسان في دراسة له نشرتها مجلة فصول، حيث يرى بأن سياق الموقف هو الذي يحدد اللفظ الأفصح لا مجرّد عذوبة ألفاظه بدليل ورود ألفاظ غير عذبة في كلام سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، مؤكداً بأن "علم الأسلوب الحديث لا يأبه للجرس إلا من حيث إيحاؤه بالمعنى، فذلك هو الفصاحة كما ينبغي أن تكون"[2]. كما ينتقد تصور الخطيب القزويني الذي يشترط لفصاحة الكلمة والكلام خلوّه من تنافر الحروف والغرابة وضعف التأليف والتعقيد...الخ، ويرفض ذلك لسببين:

أنه تحديد "سلبي، والتحديد بالسلب ضعيف، فلا يحدّد المصري بأنه ليس صينيا ولا يابانيا ولا هندياً. إن من الصعب أن يعتمد النقد الأسلوبي على هذا التحديد، إذ قد يكون من المطلوب أسلوبيا أن يستعمل الأديب كلمة فيها تنافر الحروف أو فيها غرابة أو مخالفة للقياس أو كراهة في السمع"[3].

ويتبنى قريباً من هذا الرأي د.حامد الربيعي في كتابه: "مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء"[4].

---

(1) ينظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د.بكري شيخ أمين، 1/ 31- 39.

(2) مجلة فصول، المجلد 7 العددان 3 و 4، ابريل 1987، ص 23.

(3) مجلة فصول، المجلد 7 العددان 3 و 4، ابريل 1987، ص 25.

(4) ينظر: (مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء)، د.حامد الربيعي، ص(461- 534).

وليس من أهداف هذا البحث إثبات الجمال والبلاغة في جميع ما رفضه البلاغيون العرب حول مقاييس الفصاحة، ولكن سأكتفي هنا بتقديم مثالين أو ثلاثة لما كان في قمة البلاغة والجمال رغم مخالفته مقاييس الفصاحة.

إن مقياس قبح أصوات الكلمة أو جمالها يجب ألّا ينظر إليه بمعزل عن السياق مثلما يفعل البلاغيون في حديثهم عن تنافر الحروف، وإنما يجب أن ينظر فيه إلى دور أصوات اللفظ في ضوء سياقها الذي ترد فيه، فإذا أوحت الأصوات بمعنى يتناسب مع السياق فهي مقبولة بغضّ النظر عن ثقل الكلمة أو خفّتها. ويمكن التمثيل لذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ [التوبة: 38]، فإن (اثّاقلتم) أثقل في النطق من (تثاقلتم)، ولكن هذا الثقل جاء ليصوّر شدة تقاعس وتثاقل أولئك الذين يُدعَون إلى الجهاد فيتباطؤون، ويتثاقلون، وقد أوحت أصوات الكلمة بذلك المعنى البديع، فيتصوّر الخيالُ ذلك الجسمَ المثّاقل يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل، إن في هذه الكلمة طنّاً على الأقل من الأثقال، ولو أنك قلت (تثاقلتم) لخف الجرس ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها اللفظ.

وبنفس الطريقة التي قيلت عن مقياس تنافر الحروف يمكن الحديث أيضاً عن مقياس غرابة الكلمة، وهو ما يشير إليه ابن أبي الأصبع في كتابه (تحرير التحبير)، حيث يقول: "ومن ائتلاف اللفظ مع المعنى أن يكون اللفظ جزلاً إذا كان المعنى فخماً، ورقيقاً إذا كان المعنى رشيقاً، وغريباً إذا كان المعنى غريباً بحتاً، ومستعملاً إذا كان المعنى

مولداً محدثاً"[1]، فهو يرى أن من محاسن اللفظ أن يكون غريباً عندما يكون المعنى غريباً. ويذكر لذلك مثلاً بقوله تعالى على لسان إخوة يوسف في خطابهم لأبيهم : {قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} [يوسف:85]، حيث يذكر غرابة ألفاظ "تالله" و"تفتأ" و"حرضا"، فهي من الكلمات التي يندر استعمالها في كلام العرب، وذلك للتعبير عن استغراب إخوة يوسف عليه السلام من صنيع أبيهم الذي لازال يردد اسم يوسف رغم طول المدة التي كانت بينه وبين فقده، فاستعمال هذه الكلمات الغريبة "تالله وتفتأ وحرضا" لأنها الأنسب لسياق الاستغراب[2].

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما يذكر الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، بأن الله جل جلاله يردّ في كتابه العزيز على دعوى كفار قريش بأن لهم الذكَر وأن الله جل جلاله له الأنثى بقوله: {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم:22]، ومعنى "ضِيزَى" يعني غير عادلة وغير منصفة. إن "في القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة (ضِيزى) من قوله تعالى : {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى}، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أردتَ اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها ... فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة" [3].

---

(1) تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع العدواني، ص 195.

(2) ينظر: تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع ، ص 195.

(3) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص 158.

وعلى هذا يمكن القول بأن ما ذكره البلاغيون عن عدم غرابة الكلمات لا يجب أن يكون حكماً دائماً، وإنما يجب أن يُنظر إلى دور هذه الكلمة في السياق ذلك أنها قد تكون عين البلاغة والجمال حتى وإن خالفت الشروط والمقاييس التي شرطها علماء البلاغة لفصاحة الكلمة والكلام.

وقد ذكر د.صبحي البستاني بأن ما قاله البلاغيون فيما يتعلق بشروط الفصاحة لا يبدو مقبولاً؛ حيث "إن الفصاحة وفق هذا المفهوم ... لا علاقة لها بالبلاغة" [1]، مؤكداً بأنه "إذا كانت الفصاحة محصورة بالمقاييس اللفظية التقليدية فلا تستحق أن نتوقف عندها اليوم، لأنها تخرج بذلك من إطار الدراسات الأسلوبية الحديثة" [2].

ويعلّل ذلك بأن هذه الشروط والمقاييس لا تضمن جمال الكلام وحسن أدائه البلاغي[3]، فلو روعيت في الكلام فقد يكون الكلام كلاماً جميلاً بليغاً وقد لا يكون، فهي ليست شروط جمال وإنما هي شروط صحة، وتحقّقها لا يعني أكثر من أن هذا الكلام قد التزم بمعايير الصحة وقوانين السلامة اللغوية.

ويضيف إلى ذلك بأن الحكم على العمل الأدبي لا يُنظر فيه إلى كلمة أو إلى جملة منفردة، وإنما يُنظر فيه إلى العمل الأدبي على أنه كلٌ واحد لا يتجزأ[4]، فليس من الحسن تقطيع النص الأدبي إلى أوصال وأجزاء متفرقة، ينظر فيه إلى كل جزء على حدة، وإنما يجب أن يُنظر إلى الأصوات والكلمات والتراكيب والصور التي يتضمنها

([1]) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية) ، د.صبحي البستاني، ص 43.

([2]) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية) د.صبحي البستاني، ص 45.

([3]) ينظر: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية) د.صبحي البستاني، ص 41.

([4]) ينظر: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية) د.صبحي البستاني، ص 43.

هذا النص على أنها ذات ارتباط بالنص الأدبي كله، وعن دور هذه الأصوات والألفاظ والتراكيب في أداء رسالة النص، وفي أداء المعنى العام الذي يريد النص أن يوصله وأن يقوله. وهذا يعني أن ما قاله علماء البلاغة عن مقاييس الفصاحة لم يُنظر فيه إلى سياق النص، ولم ينظر فيه إلى النص نظرة أدبية جمالية.

كما أن هذه المقاييس قد قامت على السلبية[1] وذلك عبر تحديد الأشياء التي يجب أن يخلو منها الكلام، فهي لا تتحدث عما يجب أن يتضمنه الكلام وإنما قامت على الوصف السلبي الذي يجب أن يخلو منه الكلام.

وهذه المآخذ كما ترى الدراسات المعاصرة تجافي طبيعة الدرس الأدبي المعاصر، الذي ينظر إلى الكلام بشكلٍ جماليٍ أدبيٍ يؤدي المعنى، ويوصله إلى الذهن مع الاهتمام والعناية بالشكل الجمالي والأداء الدلالي.

---

(1) ينظر: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية)، د.صبحي البستاني، ص 41.

المبحث الثالث: موقف القدامى والمعاصرين فى ضوء مفهوم (التأطير):

يمكن القول ببساطة شديدة بأن مفهوم التأطير **Framing** يشير إلى أن اللغة تخلق أطراً معرفية تتحكم بتفاعل الإنسان مع الواقع حوله. ويدور هذا المفهوم حول وجود أطر معرفية ذهنية شكلتها تجاربنا الحياتية تدفعنا إلى إدراك ما نسمع وإعادة إنتاجه وفق (مسار) محدّد.

وهذا المفهوم مستوحى من (علم دلالة الأطر **Frame Semantics**) الذي ينتسب إلى مجموعة واسعة من المقاربات التي تحاول وصف معاني اللغة عبر التأكيد على أن "الإطار الدلالي هو بنية معرفية مهمة لفهم كلمة عبر ارتباطها بكلمات أخرى"[1]. ويُعزى هذا العلم إلى الباحث تشارلز فيلمور **Charles Fillmore**. وقد أخذ (علم دلالة الأطر) اهتماماً كبيراً من باحثي اللسانيات وعلم النفس الإدراكي وبحوث الذكاء الصناعي[2]. وهو أحد فروع علم الدلالة الإدراكي **Cognitive Semantics**.

إن واحداً من أهم المبادئ المرتبطة بمفهوم التأطير والتي يقوم عليها علم الدلالة الإدراكي هو التأكيد على أن "البناء الدلالي موسوعي بطبيعته، وهذا يعني أن المفردات

---

(1) ***Cognitive Linguistics An Introduction***, **Vyvyan Evans and Melanie Green**, **p 225**.

(2) **Look**: ***Words, Worlds, and Contexts**: **New Approaches in Word Semantics***, **p 297**.

لا تمثل حزماً من المعاني المعلّبة تعليباً متقناً (وجهة النظر القاموسية)، ولكنها تُستخدم بوصفها نقاط دخول أو منافذ إلى مستودعات شاسعة من المعرفة المتصلة بتصور معين، أو مجال مفهومي معين"[1].

حيث "يتم بناء المعاني على مستوى التصور، فبناء المعنى يساوي التصور، وهي عملية دينامية تظهر الوحدات اللغوية بموجبها كمثيرات أو محفزات لنسق معين من العمليات التصورية، واستدعاء المعرفة الموسوعية، يستتبع ذلك أن المعنى (عملية process) وليس (شيئاً object) منفصلا يمكن جمعه من خلال اللغة. إن بناء المعنى يمتح من المعرفة الموسوعية.. وينطوي على استراتيجيات استنباطية تتصل بجوانب مختلفة من البناء التصوري"[2].

وعلى هذا فإن معنى اللفظ يُفهم في ضوء إطار عام يُعدّ هذا اللفظ جزءاً منه، وبدون هذا الإطار لا يمكن فهم معنى اللفظ، حيث إن هناك منظومة ذهنية ترتبط بدلالة اللفظ، إذ يتضمن اللفظ مجموعة من التعالقات المعرفية الملازمة التي يستدعيها هذا اللفظ بشكل واعٍ أو بدون يمكن أن نسمّيها (الإطار). وهذا الإطار يبدو ذا أثر مهم في فهم الدلالة وتحديد مسارها. وبهذا يمكن القول بأن الأطر هي عبارة عن "أبنية مفهومية ومعرفية توجه طريقة الأفراد في إدراك الواقع"[3].

---

(1) مجلة فصول ، المجلد 4/25 العدد 100، صيف 2017، ص 82 ، بحث بعنوان (ماهو علم الدلالة الإدراكي؟) فيفيان ايفانز، ميلاني جرين، ترجمة: أحمد الشيمي.

(2) مجلة فصول المجلد 4/25 العدد 100، صيف 2017، ص 84 .

(3) *The Ideological Stamp*, Rima Malkawi, p 41, 42.

إن هذا يعني بأن كل لفظٍ يُفهم في ضوء إطار أشمل يسهم في تحديد دلالة اللفظ. فمثلاً لفظ (طبيب) يفهم في ضوء إطار (الصحة والمرض)، فهذا اللفظ "طبيب" هو جزء من منظومة معرفية تتكون من مجموعة أشياء وأفعال ومفاهيم داخلة ضمن هذا الإطار. ومثلها كلمة (سلعة) أيضاً، حيث تُفهم في ضوء إطار (عملية البيع) وما تستلزمه من سلوكيات وممارسات ومفاهيم.

إن "الإطار يُعرف بأنه تنظيم للمعرفة ضمن مواضيع مثالية وأحداث قالبية ملائمة لأوضاع خاصة. ومعنى هذا أن الذاكرة الإنسانية تحتوي على أنواع من المعارف المنظمة في شكل بنيات... مثل (المدرسة)، فحينما يذكر مثل هذه الموضوعة تتداعى إلى الذهن البناية بأقسامها وما يلزم تلك الأقسام والمعلم والمدير والحراس، وحينما يذكر (المستشفى) يتداعى إلى الذهن الدكتور مدير المستشفى والأطباء والمرضى والدواء"[1].

وهذه "الأطر كامنة وسط الأبنية المعرفية التي نفكر بها، فعلى سبيل المثال عندما نقرأ عن غموض جريمة قتل، فإن هناك إطاراً أنموذجياً يتكون من مجموعة من العناصر: كالقاتل، والضحية أو الضحايا، والشركاء المحتملون، والمشتبه بهم، ودافع الجريمة، وسلاح الجريمة، والأدلة. إن هذا يعني بأن هناك (سيناريو) قد قَتَل من خلاله المجرم الضحية" [2].

---

(1) مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية العدد 6 ، 1992، ص 89، بحث بعنوان (دور المعرفة الخلفية في التحليل والإبداع) د.محمد مفتاح. وينظر: الاستعارة المرفوضة د.أحمد يوسف ص 14 ومابعدها..

(2) ***Political Mind***, **George Lakoff**, **p 22** .

ومن المستحيل تصوّر معنى اللفظ دون إطاره الإدراكي، لأننا "نفكر مستخدمين أطراً مفهومية. فالكلمات تُحدِّد عناصر من تلك الأطر، وبدون هذه الأطر والأسماء من الصعب أن نفكر أو نتحدث عن الحقائق"[1].

ولا يؤدي الإطار إلى فهم معنى اللفظ فقط، وإنما هو يؤثر كذلك في طبيعة السلوك الذي ينتج عنه استعمال ذلك اللفظ، ذلك أنه مما "توفره فكرة الإطار هو تحليل الإطار بوصفه نظام تمثيل ذهني يوفر مجموعة واسعة من سلسلة أفعالٍ ما"[2] فمثلا الفعل (اشترى) يتضمن سلسلة تصورات وسلوكيات ترتبط بهذا اللفظ، مثل: وجود سلعة، ووجود ثمن، ودفع الثمن من المشتري، وإعطاء السلعة من البائع... الخ.

وهذا يعني أن "الأطر هي بنيات ذهنية تشكل طريقة رؤيتنا للعالم، وتُشكل تبعاً لذلك الأهداف التي نبحث عنها، والخطط التي نعدها، وطريقة سلوكنا، وما يعد مُخرجاً جيداً أو سيئاً من أفعالنا"[3].

وتقوم هذه الأطر بتقديم منظور خاص وتصوّر محدد في معاينة الأشياء والنظر إليها[4]، وهو ما يعني بأن اللغة لا تبدو محايدة في كثير من الأحيان، فهي عادة تعكس منظوراً محدداً يفرضه ذلك الإطار، حتى وإن كنا نحن مستخدمي اللغة غير واعين بذلك[5].

(1) ***Political Mind***, **George Lakoff**, **p 133**.

(2) ***Cognitive Linguistics An Introduction***, **p 227**.

(3) ***Do not Think of an Elephant***, **George Lakoff**, **p xv**.

(4) ***Cognitive Linguistics An Introduction***, **p 229**.

(5) ***Cognitive Linguistics An Introduction***, **p 230**.

هذا التحيز المفهوماتي الذي يتضمنه استخدام الأطر في اللغة الإنسانية دفع كثيراً من الدراسات المعاصرة إلى الاستفادة من هذا المفهوم في دراسة الخطاب الإنساني للكشف عن الانحيازات المعرفية والتصورات المفهومية التي ينطلق منها منشئ الخطاب، عبر ما يختاره من إطارات تفرض منظوره الخاص الذي يخدم رؤياته الإيديولوجية أو الثقافية أو السياسية.

فعلى سبيل المثال اهتمت بعض البحوث بدراسة مفهوم التأطير في مجال الإعلام "ففي بدايات القرن العشرين قام العالم والتر ليبمان **Walter Lippmann** المشهور بوصفه رائد نظرية التأطير بفحص المغالطات والتحيز في التغطيات الإعلامية، الصحف بشكل رئيس"[1]، وعلى هذا في الإعلام "تبحث نظرية التأطير بشكل رئيس في أثر الأخبار في وسائل الإعلام على التصورات الذهنية للمشاهدين والأفراد"[2].

ويؤكد باحث آخر بأن التأطير قد بدأ أولاً في علم الاجتماع ثم انتقل إلى علوم أخرى حتى دخل مجال الدراسات الأدبية[3]، آخِذاً اهتماماً كبيراً جداً في تحليل الأخبار التي تقدّمها وسائل الإعلام. ويؤكد هذا الباحث على أن "الفرضية الأهم في نظرية التأطير هي أن القضية الواحدة يمكن أن تُرى من منظورات متعددة"[4]، "وأن

(1) ***The Ideological Stamp***, **Rima Malkawi, p 41.**

(2) ***The Ideological Stamp***, **2012, p 41, 42.**

(3) **Look:** ***(Re-)Framing the Arab/Muslim*** **, p 97, 98..**

(4) **(*Re-)Framing the Arab/Muslim*, Slke Schmidt ,p 98.**

المعلومات دائماً ما تُقدّم في سياق محدد، يثير بدوره آليات محددة في استقبال هذه المعلومات"(1).

وتظهر هذه اللعبة اللغوية في كثيرٍ من وسائل الإعلام ومواقع الانترنت، حيث يتم اختيار ألفاظ محددة يُراد من ورائها استدعاء إطار معين، فقد يحدث على سبيل المثال تفجير في مكانٍ ما، وقد تسمّي بعض وسائل الإعلام منفّذَه: (إرهابياً) لحشره في إطار (العنف) المسلح الذي يهدّد الوجود الإنساني، ولجعل فعله (مرفوضاً)، وجعل المنفذ (مجرماً)، والمعتدَى عليهم (أبرياء).. الخ.

في حين قد تسمي وسائل إعلامية أخرى المنفّذ (فدائياً) لوضعه في إطار البطولة، ومن ثم سيكون فعله (مشروعاً)، ويُعَدّ المنفذ (بطلاً) وطنياً، وسيظهر الخصوم في خندق (أعداء) الوطن والتاريخ...الخ.

وبالإضافة إلى الخطاب الإعلامي ظهرت عدد من الدراسات التي حاولت دراسة مفهوم التأطير في الخطاب السياسي، حيث تتناول هذه الدراسات كيف تلعب الأطر دوراً حيويا في موقف العامة من قضايا الشأن السياسي. إن "باحثين من عدة تخصصات في العلوم الاجتماعية كالعلوم السياسية والاتصال وعلم النفس وعلم الاجتماع واللسانيات، قد أصبحوا مهتمين بشكل متزايد بمبدأ الأطر، والدور الذي تلعبه في بناء قضايا النزاع السياسي، وأثرها في الرأي العام"(2).

---

(1) (***Re-)Framing the Arab/Muslim***, **Slke Schmidt ,p 98**.

(2) ***Framing American Politics***, **Karen Callaghan and Frauke Schnell,, p xi**.

ويعدّ الباحث الأمريكي جورج لاكوف واحداً من أهم الباحثين الذين عُنوا بدراسة مفهوم التأطير في الخطاب السياسي، فهو يؤكد بأن "كل الكلمات تُفهم بالنسبة إلى أطر ذهنية"[1] بمجرد سماعنا لها، مقرّراً بأن هذه الأطر هي بنيات ذهنية لا تُرى، ولكنها تتحكم بنا بشكل لا واعٍ في كثير من الأحيان[2].

ويضرب مثلاً لذلك بما نادى به جورج بوش الابن عندما وصل إلى البيت الأبيض، حيث نادى بـ (تخفيف الضرائب **tax relief**)، وهذا اللفظ (تخفيف) – حسب لاكوف– يقدّم الرئيس في إطار البطولة، فهذا اللفظ يشير إلى أن الضرائب (عبء) فوق كواهل الناس، وأن هذا الرئيس الذي جاء لتخفيفه هو (بطل) يقف في صف الناس وتخفيف معاناتهم، وأن من سيحاول أن يقف في وجه هذا البطل فسيكون من (الأشرار)[3]. إنها سلسلة من التداعيات المفهومية التي جرّها إلى الوعي استخدام أحد ألفاظ المنظومة المعرفية التي ينتسب إليها ذلك الإطار.

لهذا يحذّر لاكوف بعض السياسيين من الوقوع في فخاخ أطر الخصوم المفهومية، فلا يكفي أن يقف هذا السياسي ضد خيارات خصومه إذا كان يطرح رؤاه من خلال معارضة أطرهم المفهومية ونقضها فقط، إذ سيقوم طرحه هذا شعر أو لم يشعر بتعزيز تلك الرؤى التي يعارضها[4].

---

(1) ***Do not Think of an Elephant***, **George Lakoff, p xv**.

(2) **Look; *Do not Think of an Elephant*, George Lakoff, p xv**.

(3) ***Do not Think of an Elephant***, **George Lakoff, p 3**.

(4) ينظر مثال لذلك في:

Political Mind, **George Lakoff, p 86, 87**.

ويمكن توضيح هذه الفكرة عبر تعبير طريف يبني عليه لاكوف عنوان أحد كتبه، وهو قولنا مثلاً لشخص ما: (لا تفكر في أسد). حيث يقول إن هذا التعبير رغم أنه ينهانا عن التفكير في أسد، إلا أنه يستدعي إلى أذهاننا إطار الحيوان المفترس، لأنه لا يزال يستعمل ذات الإطار الدلالي الذي يحاول أن يزيحه عن أذهاننا[1]، ويرى أن هذا التعبير يؤكد أن "مهاجمة أطر الخصوم يعزز رسالتها.. فعملنا هو أن نعزز قيمنا الخاصة .. ونتجنب مهاجمة ما يخصهم، لأننا لو فعلنا ذلك فهذا يجعل أفكارهم في المقدمة"[2] ويقرّر بأن التحرّر من أطر الخصوم وأفكارهم يمكن أن يتم عبر إعادة التأطير **Reframing** أي عبر اختيار الكلمات والعبارات التي تمتثل لأطرنا المفهومية بدلا من التورط في نقض أطر الخصوم ومعارضتها.

إنه لمن الواضح أن اللغة الإنسانية ومن خلال ما تثيره من أطر تحدد الاحتمالات الممكنة التي يتعامل بها الإنسان مع ما حوله، حيث إن "الناس لا يمكنهم التعامل مع الأشخاص الجدد، أو الأشياء، أو الأحداث على أنها فريدة أو معزولة. إن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نجد بها معنى للعالم حولنا هي أن نرى الروابط بين الأشياء أمامنا والأِشياء التي قد جرّبناها قبلاً أو سمعنا عنها. هذه الروابط نتعلمها عندما نكبر ونعيش وسط ثقافة محددة، وحالما نقيس الوعي الجديد تجاه ما نعرفه من العالم عبر تجربة سابقة فإننا نتعامل مع التوقعات المحتملة"[3].

---

(1) *Do not Think of an Elephant*, Jeorge Lakoff, p3.

(2) *Do not Think of an Elephant*, Jeorge Lakoff, p xiii .

(3) *Framing in Discourse*, Deborah Tannen, p 14, 15.

وتؤثر هذه الأطر في الفعل والقرار الإنساني، ولهذا يؤكد لاكوف بأنه ليس من الصحيح الاعتقاد بأن عامة الناس يأخذون قراراتهم طبقاً للمنطق أو العقل، حيث "تثبت العلوم الإدراكية وبحوث علم النفس الآن بأن الناس لا يفكرون بهذه الطريقة، وإنما الأطر والاستعارات والنماذج وآليات أخرى غير لغوية تؤثر بشكل جوهري في القرار الإنساني"[1].

ويهمّنا في هذا التصور الذي تقدمه هذه الرؤية التأكيدُ على أن كل لفظ يستدعي إطاراً مفهومياً يحكم فعل اللغة والموقف الإنساني، بحيث يغدو هذا الإطار موجّها مهماً لموقفنا قيمياً وشعوريا وسلوكياً.

وإذا طبّقنا هذا التصور على لفظ (الفصاحة) فإن هذا ربما يفسّر لنا السبب الذي دفع بعض البلاغيين العرب إلى مقاربة مبحث (الفصاحة) بتلك الطريقة التي عابها كثير من باحثي الدرس النقدي المعاصر، ذلك "أن تلك الأطر بعناصرها الضرورية والاختيارية هي التي تتحكم في المحلل أو المؤول أو الناقد أو ما شئنا من الألفاظ"[2].

وبناء على هذا يمكن القول بأن مادة هذا اللفظ (فصح) قد استُخدِمت وصفاً للغة العربية الملتزمة بقواعد العربية وقوانينها بحيث سُمّيت هذه اللغة بـ (الفصحى). كما أن (الفصاحة) بمعنى السلامة اللغوية مثّلت اتجاهاً علمياً مهماً سار عليه جمع كبير من علماء اللغة العربية منذ وقت طويل بغية الوقوف عند الصواب والخطأ في استعمالات

---

(1) *Thinking Points*, **George Lakoff** , p 73.

(2) مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية العدد 6 ، 1992، ص 90.

الناس اللغوية، وظهر هذا في مؤلفات عدد كبير من علماء اللغة حيث وردت مادة (فصح) في بعض العنوانات، كما في كتاب (فصيح ثعلب) مثلاً.

وقد أكّد هذا المعنى باحث معاصر في حديثه عن حركة التصحيح اللغوي في التراث العربي في كتابٍ له حمل عنوان (تطور مشكلة الفصاحة)، حيث يقول: "نشأت مشكلة الفصاحة في تاريخ العرب منذ تحسّس العلماء أخطار العجمة واللحن تهدّد لغة الأجداد والآباء، فراحوا يتابعون تلك الأخطار بتحصين العربية وحمايتها، وحشد القوى لوضع معايير الفصاحة، وتمييز ما هو دخيل أو لحن أو أعجمي مما له الأصالة والنسب العريق"[(1)]، مؤكداً بأن "لدينا في لهجات العرب مستوياتٍ ثلاثة: الصحيح والفصيح والأفصح، وما دون ذلك فهو ضعيف أو رديء أو عامي سقيم، قد يدوّن ويدرس، ولكنه لا يجوز أن يُساوى باللسان العربي المبين، وهذا ما كان يقوم به علماء العربية حتى الآن، فهم يطلبون الصواب والحق، ويدفعون الخطأ والخطل والباطل"[(2)].

إن الكلام السابق يعني بشكل واضح أن لفظ (الفصاحة) يدور في إطار الصحة والسلامة اللغوية، وأنه ألصق بسبب ذلك بالبحث اللغوي والنحوي. وعندما جاء علماء البلاغة ليأخذوا هذا اللفظ –لفظ (الفصاحة)– ويستخدموه في بحوثهم لم يستطيعوا أن ينفلتوا من ذلك الإطار الملازم لهذا اللفظ، حيث حكم هذا الإطار اللغوي مقاربتهم ووجّهها باتجاه مغاير لطبيعة البحث البلاغي شعروا بذلك أو لم يشعروا.

---

(1) ينظر: تطور مشكلة الفصاحة ، د.فخر الدين قباوة، ، ص 19.

(2) ينظر: تطور مشكلة الفصاحة ، د.فخر الدين قباوة ، ص19.

إن الملحوظة الأولى التي تُلحظ في حديث البلاغيين العرب حول مبحث الفصاحة هي حديثهم عن الكلمة والجملة من حيث الاستخدام اللغوي المقبول والمرفوض، وهذا يظهر مثلاً في كل مقاييس الفصاحة الستة التي تناولها حديث البلاغيين المتأخرين في مستوى الصوت والصرف والتركيب والدلالة.

هذا يعني أن هذا التصور كان يقارن بين صواب وخطأ، وهو ما يعدّ مخالفاً لطبيعة البحث البلاغي الذي يقارن عادة بين صواب وصواب، أو كما يقول أهل النقد بين جميل وأجمل. إن البلاغة بحث في الجمال والثراء الدلالي، ولا علاقة لها كما هو مُفترض بمنظور الصحة والخطأ، ولكن إطار السلامة اللغوية الذي ينتسب إليه لفظ (الفصاحة) قد جرّ البلاغيين إلى ذلك السبيل. هذا على الرغم من أنه في المنظور البلاغي تعد مخالفة سنن الكلام المعتاد سلوكاً لغوياً إبداعياً يحتاج تفسيراً جمالياً ودلاليا، ومن هنا جاء اهتمام القدامى والمعاصرين بالعدول والانزياح، ولكن في الفصاحة ركّز البلاغيون على ضرورة موافقة الكلام للمثالي والصحيح.

وأما الملحوظة الثانية فهي أن هؤلاء البلاغيين يتحدثون عن المرفوض بشكل قاعدي مطلق، بحيث يُصدرون حكماً عاماً على صلاحية مثل هذا اللفظ أو التعبير أو عدم صلاحيته، من منظور قاعدي دائم دون النظر إلى قيمة هذا اللفظ ودوره في سياقه النصي.

إن واحدة من أهم سمات البحث البلاغي على مر التاريخ هي أنه ذو طبيعية مقامية تداولية، فالبلاغة تنظر إلى اللفظ والتعبير من حيث مناسبتهما لسياق محدد، ومدى قدرتهما على أداء الدلالة المطلوبة في ذلك السياق.

وهذا يعني أيضاً أن ذلك الإطار اللغوي النحوي الذي ارتبط به لفظ الفصاحة قد حكم سلوك البلاغيين فبحثوا عن (قواعد) مطلقة يضبطون بها مقاييس الفصاحة. وعلى هذا أثّر ذلك الإطار الادراكي (إطار السلامة اللغوية) الذي ينتسب إليه لفظ (الفصاحة) في توجيه البلاغيين بوعي أو بدون إلى مقاربة مبحث الفصاحة وفقاً لما يستلزمه ذلك الإطار، فتحرّكوا هنا (للتقعيد) البلاغي وذلك عبر وضع (قواعد عامة) تضبط مبحث الفصاحة مثلما يضبط التقعيد النحوي اللغة بـ(قواعد النحو)،

أما الملحوظة الثالثة فهي التركيز في مقاييس الفصاحة على (الخلو) من العيوب فقط. إن البحث البلاغي يقوم عادة بالتقييم الجمالي والتعليل الدلالي، ويقف عند الجيد والرديء، ولا يقصر حديثه على عيوب الكلام وما يجب أن يخلو منه، لكن المتأمل لعمل البلاغيين المتأخرين يجدهم نظروا إلى مقاييس الفصاحة من المنظور السلبي الذي يؤكد فقط على ضرورة (خلوّ) الكلام من ذلك العيب الذي يرونه مخلاً بالفصاحة. وكلمة (يخلو) التي ترددت في كلام البلاغيين كثيراً هي ذات ارتباط بتصورات التصحيح اللغوي التي تؤكد فقط على (خلوّ) الكلام مما يخالف قواعد اللغة، مما يعكس تأثر البلاغيين بإطار الصحة والسلامة اللغوية في مقاربتهم مقاييس الفصاحة.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك ملحوظة رابعة وهي طريقة التناول الجزئي الذي يقف عند لفظ واحد أو جملة واحدة، فعقلية المصحّح والمدقّق اللغوي الذي يقرأ النص كاملاً ليقف عند كلمة أو جملة مخالفة كانت حاضرة في فعل البلاغيين. لقد وقف البلاغيون وقوفاً جزئياً على كلمة أو جملة دون النظر إلى النص على أنه وحدة واحدة، وهذا سلوك لغوي يمثل انصياعاً لما يمليه إطار لفظ (الفصاحة). وهو ما

يكشف حضور عقلية التصحيح اللغوي الذي يكتفي بتتبع الكلمات أو الجمل غير المتفقة مع المقاييس اللغوية المفترضة.

لقد أكد د.عبدالحكيم راضي بأن "فهم تراثنا النقدي والبلاغي على حقيقته – وهو خطوة أولى في طريق الانتفاع بما فيه من كنوز– هذا العمل يحتاج إلى عمل مضن وجهد شاق وصبر في متابعة السياقات المختلفة التي ترد خلالها المصطلحات وعدم الاستهانة بأي منها، وأهم من ذلك يحتاج إلى حساسية مرهفة من جانب القارئ ليستطيع الربط بين ما يبدو متباعداً من المقدمات والنتائج، أو الأسباب والمسببات"[1].

وهذا ما حاول هذا البحث أن يفعله عبر التأكيد على أن البلاغيين المتأخرين قد نظروا إلى مقاييس الفصاحة في ضوء الإطار المفهومي الذي يرتبط به لفظ الفصاحة، وهو إطار السلامة اللغوية، ومن ثم جاءت مقاربتهم لمبحث الفصاحة متأثرةً بهذا الإطار المفهومي الذي تنتسب إليه مادة (فصح)، إذ جاءت مقاربتهم هذا المبحث مقاربة لغوية صرفة اختفى فيها أي أثر لمنهجيات وأدبيات البحث الجمالي المعروفة.

وأما رأي الدارسين المعاصرين فقد انطلق من إطار إدراكي مختلف، حيث ورد كلامهم ضمن حديث مستفيض عن الأدب والشعر والموسيقى والصورة الشعرية والأسلوبية... الخ، وهو ما جعل هذه الاستخدامات اللغوية عند هؤلاء الباحثين المعاصرين تحصر تفكيرهم في (إطار الجمال الأدبي)، وما تستلزمه اللغة الأدبية من مقاييس، ومن ثم كانت ملحوظاتهم ومآخذهم على الفصاحة منبثقة عن هذا الإطار،

---

(1) من آفاق الفكر البلاغي عند العرب، د.عبدالحكيم راضي، ص11.

حيث طرح هؤلاء الباحثون مجموعة من الانتقادات المختلفة لمقاييس الفصاحة متأثرين بهذا الإطار الجمالي، فانتقدوا مثلا قيام مقاييس الفصاحة على النظرة الجزئية، دون النظر إلى النص كاملا، وأنها لا تحكم على جمال الكلام في ضوء مناسبته للسياق، وأنها تنطوي على الرؤية السلبية التي تحدد ما يجب أن يخلو منه الكلام، لا ما يجب أن يتضمنه...الخ وبناء على هذه المآخذ فإن مقاييس الفصاحة في نظر هؤلاء النقاد تتجافى مع طبيعة الدرس الجمالي والأدبي. وهذا يدل على أن الإطار الأدبي الجمالي الذي انطلقوا منه كان هو السبب الذي جعلهم يقفون هذا الموقف الرافض لموقف علماء البلاغة التراثية، فهذه المقاييس لا تتناسب مع هذا الإطار المعرفي الذي وضعتهم فيه استخداماتهم اللغوية.

الخلاصة:

أشار المبحث الأول إلى أن عادة الكاتبين عن الفصاحة في البلاغة التراثية أن يبدؤوا حديثهم بمقدمات لتعريف البلاغة والفصاحة، والفرق بينهما. ولم يقدّم البلاغيون التراثيون تعريفًا للفصاحة، وإنما اكتفوا بتعداد ما يخلّ بفصاحة الكلمة والكلام. ولكننا من خلال ما ذكروه هناك نستطيع أن نقول إن الفصاحة هي موافقة الكلام لسنن وأساليب الكلام العربي الأصيل صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة. وفي هذا المبحث يتحدث البلاغيون عن ضرورة خلو الكلام من تنافر الحروف، ومخالفة القياس الصرفي، وضعف التأليف النحوي، والتعقيد اللفظي والمعنوي.

وجاء المبحث الثاني ليعرض رأي الدراسات المعاصرة في مقاييس الفصاحة والنقاش الذي دار حول جدوى هذه المقاييس التراثية في النظر بها إلى بلاغة الكلام

والكشف عن جمالياته، فقد ذهب عدد من الباحثين المعاصرين إلى عدم جدواها، وتجاوُز الدرس النقدي والأدبي المعاصر هذه المقاييس.

فقد ذهب إلى ذلك د.إبراهيم أنيس في كتابه (موسيقى الشعر)، ، ود.تمام حسان في دراسة له نشرت في مجلة فصول عن المصطلح البلاغي القديم بين البلاغة والأسلوبية، ود.صبحي البستاني في كتاب له بعنوان (الصورة الشعرية في الكتابة الفنية)، ود.حامد الربيعي في كتابه: "مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء" وغيرهم.

وفي المبحث الثالث جاء النظر إلى هذين الموقفين في ضوء مفهوم التأطير Framing ، الذي يؤكد على أن اللغة تخلق أطراً معرفية تتحكم بتفاعل الإنسان مع الواقع حوله. وأن هذه الأطر تتشكل بالكلمات والعبارات المستخدمة، وأن هذه الأطر هي التي تدفعنا إلى إدراك ما نسمع وتقوم بتوجيهنا نحو (مسار) محدّد.

ولو نظرنا إلى الموقف من الفصاحة في ضوء مفهوم التأطير، فإنه يمكن القول بأن هذا المفهوم يمكن أن يفسّر لنا السبب الذي دفع الباحثين في الدرس النقدي المعاصر إلى رفض تلك المقاييس التي قرّرها علماء البلاغة التراثية.

إذ يُلحظ بأن رأي هؤلاء المعاصرين قد ورد ضمن حديث مستفيض عن الأدب والشعر والموسيقى والصورة الشعرية والأسلوبية... الخ، وهو ما جعل هذه الاستخدامات اللغوية عند هؤلاء الباحثين المعاصرين تحصر تفكيرهم في إطار الجمال الأدبي، وما تستلزمه اللغة الأدبية من مقاييس، ومن ثم كانت ملحوظاتهم ومآخذهم على الفصاحة منبثقة عن هذا الإطار الجمالي.

أما علماء البلاغة التراثية فقد انطلقوا من منظور مختلف تماما، فهم يتحدثون عن الفصاحة التي ارتبطت بالسياق اللغوي، وعن البلاغة التي تعنى بالتوصيل

والتواصل الناجح، فالبلاغة تدور مادتها المعجمية حول إبلاغ المعنى ووصوله ذهن المخاطب بأدق صورة وأفضل أسلوب. كما أن البلاغة تَدرس في نظر أولئك البلاغيين التراثيين مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فهي تدرس الكلام كله، نثره وشعره، شفويا أو مكتوباً، أدبيا أو غير أدبي.

والفصاحة كذلك يدور معناها المعجمي حول معنى الظهور والوضوح، وقد استُخدِم لفظ الفصاحة في التراث اللغوي بمعنى الصحة والسلامة اللغوية، وقد مثّل هذا اتجاهاً علمياً سار عليه جمع كبير من علماء اللغة العربية منذ وقت طويل بغية الوقوف عند الصحة والسلامة في استعمالات الناس اللغوية، وظهر هذا في مؤلفات عدد كبير من علماء اللغة قديماُ، كما في كتاب (فصيح ثعلب) مثلاً، وحديثاً كما في كتاب (تطور مفهوم الفصاحة) للدكتور فخر الدين قباوة.

وبناء على هذا يمكن القول بأن الكلمات المستخدمة من البلاغيين التراثيين في حديثهم عن قضية (الفصاحة)، مثل كلمة (البلاغة) و(الفصاحة) و(الكلام) قد وضعتهم في إطار الصحة والسلامة التي تستلزمها اللغة التوصيلية التواصلية، ومن ثم كان التركيز على المواصفات التي تحتاجها اللغة التواصلية لتبلغ معناها إلى المتلقي بأوضح فكرة وأجلى أسلوب.

إن الكلام السابق يعني بشكل واضح أن البلاغيين التراثيين كانوا يتحركون في إطار الصحة والسلامة اللغوية، وأنهم قد انطلقوا من هذا الإطار الملازم لهذا اللفظ في بحثهم موضوع الفصاحة، حيث حكم هذا الإطار اللغوي مقاربتهم ووجّهها باتجاه البحث عن الإبلاغ السليم للفكرة والأداء الصحيح للأسلوب.

وهذا يعني أن ما قاله علماء البلاغة التراثية حول مقاييس الفصاحة يبدو مقبولاً إذا نُظِر إليها كما فعلوا في الكلام العادي التوصيلي الذي يتبادله الناس، والذي مداره على الإفهام وإيصال المعنى، ففي مقام خطبة الجمعة، أو مقام التعليم والتدريس، يبدو المتكلم مطالبا بأن يوصل الفكرة بشكلٍ صحيح إلى ذهن المتكلم، وهو عندما يستعمل التعقيد اللفظي أو المعنوي أو الغرابة .. الخ فإن هذه الأشياء قد تعيق وصول المعنى بشكل صحيح إلى السامع، ولهذا يمكن القول بأن بعض مقاييس الفصاحة التي ذكرها علماء البلاغة العربية تبدو مقبولة إذا نُظر إليها في ضوء الكلام التوصيلي التواصلي الذي يهدف إلى إيصال الفكرة واضحة بينة إلى ذهن السامع.

أما إذا نُظر إلى الكلام من المنظور الإبداعي والجمالي كما يحدث عند التعامل مع اللغة الأدبية، فإن مقاييس الفصاحة لا تصبح ذات قيمة كبيرة، وهؤلاء الذين تحفظوا على مقاييس الفصاحة من المعاصرين كانوا ينظرون إلى القيمة الجمالية في الكلام.

وأخيراً أقول: لقد اتضح للباحث أن اختلاف الرأيين بين القدماء والمعاصرين إنما يرجع إلى اختلاف الكلمات المستخدمة في حديثهم عن الفصاحة، وهو ما أثر في اختلاف الإطار الادراكي الذي وضعتهم فيه كلماتهم، ومن ثم كان من الطبعي أن يختلف إثر ذلك موقفاهما من مقاييس الفصاحة قبولاً أو رفضاً.

الفصل الثاني:
الاستعارة والبعد الفكري

تهتم اللسانيات الإدراكية Cognitive Linguistics بـ(المشابهة) نظرا لأهميتها في اكتساب المعرفة، حيث يستفيد الإنسان من المشابهة في شؤون حياته المختلفة، فهو يستفيد منها في حل المشاكل واتخاذ القرارات وإنتاج السلوك، وذلك من خلال حمل التجربة الجديدة عند التعامل معها على تلك التجارب السابقة المشابهة لها المخزنة في عقله[1].

وقد ركّزت دراسات اللسانيات الإدراكية على دور (المشابهة) من خلال مبحث (الاستعارة) Metaphor[2]. ويعدّ أحد أهم الكتب التي نظّرت لهذه القضية كتاب (الاستعارات التي نحيا بها) لمولّفيه: جورج لاكوف ومارك جونسون، حيث صدر هذا الكتاب في طبعته الانجليزية الأولى عام 1980م ويعدّ هو نقطة التحول الأهم في النظرة الجديدة نحو الاستعارة. بل إن هذا الكتاب –كما يذهب باحثون معاصرون– كان له فضل كبير في بروز اللسانيات الإدراكية وتوسعها طوال ثلاثة عقود في دراسة اللغة من زوايا مختلفة كالنحو والدلالة والأبنية المفهومية والتمثيلات الذهنية[3].

---

(1) وجدت أنه من الضروري قبل الحديث عن البعد الثقافي في الاستعارة أن أقدم تعريفاً للاستعارة في اللسانيات الإدراكية، وقد استفدت في ذلك مما كتبته في كتابي (توظيف أدوات البلاغة في النص المعاصر). أما الجديد الذي يضيفه هذا الفصل فهو يبدأ من العنوان (الاستعارة والثقافة).

(2) تنطلق اللسانيات الإدراكية من التصور الانجليزي للاستعارة، فإذا لم توجد أداة التشبيه فهو استعارة، فجملة (الحياة رحلة) هي استعارة في التصور الانجليزي، بينما هي في التصور البلاغي العربي تعد تشبيهاً بليغاً.

(3) *New Directions in Cognitive Linguistics*. Vyvyan Evans and Stéphanie Pourcel. p 1.

وقد حاولت بعض الكتب المعاصرة الحديث عن أثر التصورات الاستعارية على حياة الإنسان في المستويات المختلفة، فكيف يمكن أن يكون للاستعارة دور في التغيير الشخصي، وفي تشافي المريض، وبعض الحوادث الاجتماعية كالطلاق، وأثرها في السلوك والشعور الإنساني..إلخ[1].

إذ يذهب باحثو هذا العلم في دراستهم لمجموع التعبيرات الاستعارية التي تشيع في الخطاب اللغوي إلى أنها تمثيلات لمفاهيم وتصورات معرفية ينبثق منها الوعي، وتتفاعل مع الثقافة والسلوك الإنساني. وسأحاول في هذه السطور الحديث عن ذلك من خلال طرح تصور الإدراكيّين النظري حول الاستعارة وتعريفها وأثرها في حياة الإنسان، مع محاولة الكشف عن التجليات الفكرية والثقافية للمفاهيم الاستعارية في الخطاب.

تُعرَّف الاستعارة في اللسانيات الإدراكية بأنها "فهم مجال تصوري واحد في ضوء مجال تصوريّ آخر"[2]. وهذا يعني أن جوهر الاستعارة يكمن "في كونها تتيح فهم شيء ما وتجربته أو معاناته انطلاقاً من شيء آخر"[3]. إنها "عملية ذهنية تقوم على التقريب بين موضوعين أو وضعين، وذلك بالنظر إلى أحدهما من خلال الآخر"[4]. وتسمّي

---

(1) انظر: الفصل الثاني والثالث من كتاب:

***Metaphor Implications' and Applications*, Jeffery Scott Mio and Albert Katz.**

(2) ***Metaphor: A Practical Introduction*. Zoltan Covceses. p: 4.**

(3) الاستعارات التي نحيا بها، جورج لاكوف ومارك جونسون، ت: عبدالمجيد جحفة، ص 23.

(4) بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، عبدالإله سليم، ص 90.

اللسانيات الإدراكية المجالَ الأول الذي يُستعارُ منه باسم: المصدر **Source** ، في حين يسمّى المجال الذي يُستعار له باسم: الهدف **Target**.

ويمثّل أحد الباحثين لذلك بقوله: (كان ستالين على قمة الاتحاد السوفييتي وكان الفلاحون في القاع)[1]. فهذه العبارة تشير إلى أن (القوة أعلى)، حيث تُفهم الصلات الاجتماعية في ضوء الأبعاد الاتجاهية. وهذا يعني أن التفكير بالاتجاه حاضرٌ عند التفكير بالعلاقات الاجتماعية، من خلال ربط الموقع الاجتماعي الأقوى بدرجة القمة في خط عمودي متخيَّل.

فقد استعير (القمة) و(القاع) للموقع الاجتماعي الأقوى والأضعف. فنحن – حسب التعريف السابق– نفهم (الموقع الاجتماعي الأقوى) في ضوء (القمة)، و(الموقع الأضعف) في ضوء (القاع). وعلى هذا فالمصدر هو (القمة – والقاع) لأنهما هما اللذان أُخِذا من مجالهما ليدلاّ على الاستعارة، والهدف هو (الموقع الاجتماعي الأقوى والأضعف) لأنه هو المستهدَف بالمعنى الجديد الذي تدلّ عليه الاستعارة. ويكون المصدر عادة شيئاً تجريبياً (كالقوة التي نحسّها ونجرّبها في حياتنا دوماً)، في حين أن الهدف يكون في الغالب شيئاً مجرّداً (كالموقع الاجتماعي في المثال السابق).

---

(1) **Look**: ***Cognitive Poetics in Practice*. Joanna Gavins and Gerard Steenp**: **100**.

- أهمية الاستعارة في حياة الإنسان:

تعطي اللسانيات الإدراكية اهتماماً كبيراً للاستعارة بوصفها إحدى أهم آليات التفكير والمعرفة التي يعتمد عليها العقل الإنساني بشكل كبير. فالاستعارة –كما يقول عنها صاحبا كتاب "الاستعارات التي نحيا بها"– "حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية. إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضاً. إن النسق التصوري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس... وإذا كان صحيحاً أن نسقنا التصوري في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية، فإن كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكياتنا في كل يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة"[1]. وهذا يعني أن دور المشابهة لا يقتصر على الدور الجمالي الذي يجعلها خاصة بالأدباء والشعراء، بل إنها مهمة حتى لإدراك الإنسان العادي، مما يعني وجودها في فكره ولغته كأداة للفهم والإفهام.

إن اللسانيات الإدراكية تؤكد على أن الفهم الإنساني ذو نزعة تجريبية، فالإنسان يفهم الأشياء من خلال التجارب التي عايشها. حيث إن لدى الكائن البشري ميلاً "إلى احتواء العالم المحيط به، وذلك بواسطة تمثله، وتخزينه في ذاكرته على شكل معلومات يعود إليها عند الحاجة، ولا يكتفي الكائن البشري بالميل إلى احتواء العالم باعتباره موضوعات، بل يتعدّى ذلك إلى تخزين الأحداث والانفعالات والموضوعات المجردة"[2]، سواء أكان مصدر هذا التخزين هو الوسط الطبيعي المحيط، أو التراث والثقافة المشتركة.

---

(1) الاستعارات التي نحيا بها، جورج لاكوف ومارك جونسون، ص **21**.

(2) بنيات المشابهة في اللغة العربية، عبدالإله سليم، ص **5**.

وهذا يعني أن الإنسان يستقي تصوراته المباشرة والاستعارية من الوسط المادّي المحيط، حيث "إن نسقنا التصوّري أساسه تجاربُنا في العالم، فكل التصورات المنبثقة بشكل مباشر (مثل: فوق- تحت- والشيء- والمعالجة المباشرة) والاستعارات (مثل: السعادة فوق، والجدال حرب) لها أسسها في تفاعلنا المستمر مع محيطنا الفيزيائي والثقافي، وكذلك بالنسبة للأبعاد التي تبنين تجربتنا...، إذ تنبثق بشكل طبيعي من نشاطنا في العالم، وهذا النوع من النسق التصوّري الذي نملكه ناتج عن نوعنا باعتبارنا كائنات، وعن الكيفية التي نتفاعل بها مع محيطنا الفيزيائي والثقافي"[1].

وهذا يعني أن الأمور المادية والمعنوية في حياتنا يتم فهمها فهماً تجريبياً مادّياً. ففهم الماديات فهماً تجريبياً مادياً هو فهم مباشر (غير استعاري)، وأما المعنويات فيتم فهمها من خلال الاستعانة بتجاربنا المادية التجريبية، أي أننا نفهمها استعارياً. وهذا يعني أن الإنسان يستقي من تجاربه الخاصة ليفهم بها الواقع من حوله، فكثير من الموضوعات المجرّدة يفهمها الإنسان فهماً استعارياً من خلال حملها على التجارب المادّية المخزّنة في عقله. ولهذا يلحظ أحد الباحثين حضور الاستعارة بقوة عند الحديث عن التجارب المعنوية[2] ، ذلك أن الإنسان يلجأ إلى الاستعارة أكثر عندما يتحدّث عن أمرٍ معنوي، لأنه سيلجأ إلى استعارة بعض التجارب الحسية من حياته ليعبّر بها عن هذا الأمر المعنوي.

---

(1) الاستعارات التي نحيا بها، جورج لاكوف ومارك جونسون، ص 129، 130.

(2) ***Cognitive Poetics in Practice***. **Joanna Gavins and Gerard Steen**, **p**: **109**.

- المفهوم الاستعاري واللغة الاستعارية :

التعبيرات الاستعارية ليست صوغاً لغوياً فحسب بل هي نتاج مفاهيم استعارية، حيث تفرّق اللسانيات الإدراكية بين الاستعارة بوصفها تصوراً ذهنياً، والاستعارة بوصفها صياغة لغوية. إذ يؤكد جورج لاكوف ومارك ترنر على "أن من الضروري لأي مناقشة في الاستعارة أن تفرّق بين المفهوم الاستعاري الرئيس، الذي هو معرفي بطبيعته، والتعبيرات اللغوية المحدَّدة لتلك التصورات الاستعارية"[1].

وتنشأ جميع التعبيرات الاستعارية عن فكرة مهيمنة في أذهان الناس تُسمّى : (المفهوم الاستعاري، أو الاستعارة المفهومية **Conceptual Metaphor**)، والفرق بين التعبير والمفهوم يكمن في أن المفهوم الاستعاري موجود في العقل الإنساني، في حين أن التعبيرات الاستعارية موجودة في الكلام اللغوي، والمصدر المولِّد لها هو المفهوم الاستعاري[2].

ويمكن أن يتمّ ذكر مثال لتوضيح الفرق بينهما. لننظر إلى بعض الكلمات التي تدور في حديث الناس اليومي عند وصفهم: (الجدال) مثلاً، لنرى كيف تحضر الاستعارة فيها بشكل واضح، وكيف تمثّل هذه الأمثلة شواهد على ارتباط الاستعارة بالفكر وليس باللغة وحدها، فالناس مثلاً قد يقولون عند وصف جدال معين[3]:

- لقد دافع عن وجهة نظره.

---

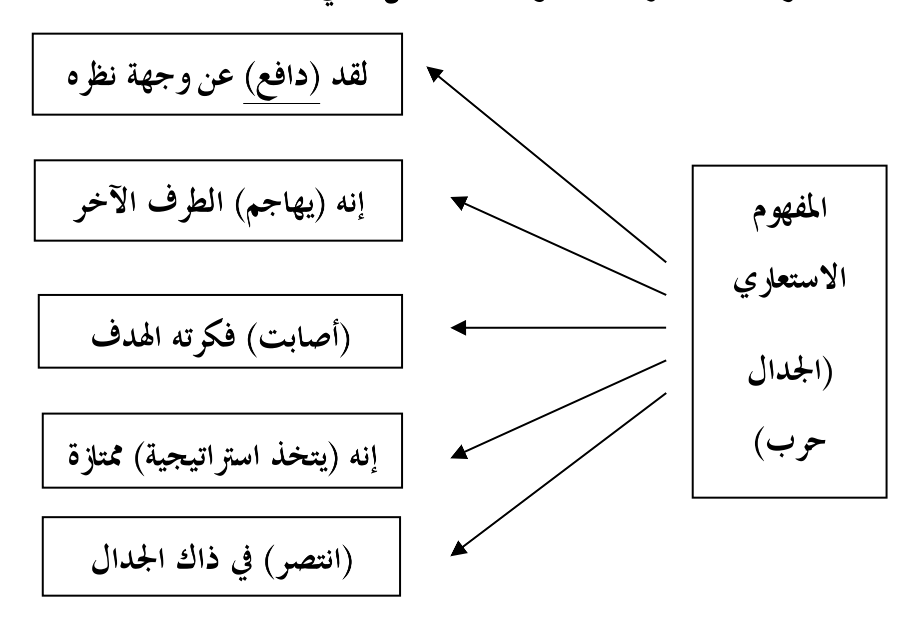
(1) *More than Cool Reason*, George Lakoff and Mark Turner, p: 50.

(2) Look: *Metaphor: A Practical Introduction*. Zoltan Covceses. P: 6.

(3) هذا المثال مأخوذ من: الاستعارات التي نحيا بها، جورج لاكوف ومارك جونسون، ص22، 23.

- إنه يهاجم رأي الطرف الآخر.
- أصابت فكرته الهدف.
- انتصر في ذاك الجدال.
- إنه يتخذ استراتيجية ممتازة.

إن العبارات التي تحتها خط هي ألفاظ مستعارة من سياقها الأصلي (الحرب) ومستعملة في سياق (الجدال)، فهي إذن (تعبيرات استعارية)، وهي تظهر في حديث الناس اليومي باستمرار دون أن ننتبه إلى استعاريتها. لكنها أيضاً تنبثق من (مفهوم استعاري) ذهني واحد، فهي جميعاً مأخوذة من المفهوم الاستعاري: (الجدال حرب). وهذا يعني أن الإنسان العادي يفهم الجدال من خلال الحرب. فهو يستعير ما يخص الحرب ليفهم به الجدال. وهذا المفهوم الاستعاري القابع في ذهن الإنسان هو الذي أفرز تلك التعبيرات الاستعارية، كما يوضّحه الشكل التالي:



ويمكن التوضيح بمثالٍ آخر يتحدث فيه الناس عن الحياة، فهم يقولون مثلاً في أحاديثهم اليومية عن الحياة:

- **بدأ حياته بشكل جيد.**
- **نحن ننتقل إلى مرحلة جيدة.**
- **إنه يسير حياته دون وجهة.**
- **وصلت في حياتي إلى حيث أردت أن أكون.**
- **لن أسمح لأحد أن يقف في طريقي.**

إن "هذه الطريقة في الحديث عن الحياة تُعَدّ عند كثيرين حديثاً طبيعياً معتاداً في شؤون حياتنا اليومية...ولا تعدّ تعبيراً بديعاً أو لغة أدبية. وسنرى مِنْ تأمُّل هذه الأمثلة المعطاة أن كثيراً مما نتحدث به عن "الحياة" مأخوذ من الطريقة التي نتحدث بها عن (الرحلة)"[1]. وهذا يعني أن ثمة تصوراً استعارياً يحكم أفكارنا عن (الحياة)، فنحن نستبطن في عقولنا المفهوم الاستعاري التالي: (الحياة رحلة)، وهذا المفهوم الاستعاري هو الذي يولّد في أحاديثنا الكثير من أمثال التعابير الاستعارية السابقة.

إن الإنسان يحمل في ذهنه مخزوناً من المفاهيم الاستعارية التي تشكّلت من خلال التجارب التي مرّت بها حياة الإنسان، أو التي شكّلتها الثقافة والتراث الذي يعيش فيه. ومن خلال ذلك يفهم الإنسان بعضاً مما حوله فهماً استعارياً. إنه حسب هذه الرؤية يعاين كثيراً من الأشياء التي يحياها في ضوء أشياء أخرى بوعي أو بدون، وتشكّل هذه المفاهيم والتصورات الاستعارية كثيراً من مواقفه الحياتية وعباراته اليومية.

---

(1) ***Metaphor: A practical Introduction.*** **Zoltan Covceses. P: 3.**

وهو ما يعني أن ثمة بنى ذهنية استعارية مشتركة في العقل الإنساني. هذه البنى الفكرية الاستعارية المشتركة هي ما أسمته اللسانيات الإدراكية بـ (المفاهيم الاستعارية Conceptual Metaphor). وهذه المفاهيم الاستعارية هي استعارات تقليدية موجودة في وعي الإنسان العادي والشاعر المبدع على حد سواء. وتنعكس هذه المفاهيم الاستعارية على حياة الإنسان بالكامل، بما في ذلك لغته فتؤدي إلى حصول التعبيرات الاستعارية الممثّلة لتلك التصورات.

الاستعارة والسلوك الإنساني:

إذا كانت الاستعارة تصوراً ذهنياً يسكن عقل الإنسان كما يقول المعرفيون فمن الطبعي أن تكون ذات أثرٍ على حياته كلها بما في ذلك سلوكه اليومي. وأشير هنا إلى أن جورج لاكوف قد وسّع هذه الرؤية وتناولها في عددٍ من كتبه ومقالاته، حيث ركّز في تلك الكتب والمقالات على أثر المفهوم الاستعاري في صناعة الموقف والسلوك الإنساني. وفي هذا السياق تحدّث عن الخطاب السياسي الأمريكي بين المحافظين والليبراليين، ورأى أن تصوراً استعارياً يحكم رؤاهم السياسية، وقد أفرز هذا التصور كل المواقف والرؤى السياسية التي نادى أو ينادي بها كل حزب خلال حملاته الانتخابية(1).

---

(1) Look: ***Metaphor, Morality and Politics, Or Why Conservatives Have Left Liberals in the Dust. George Lakoff.*** **In Journal: Social Research. Volume: 62. Issue: 2. 1995. p: 177**

كما أن له مجموعة مقالات يتحدّث فيها عن المفاهيم الاستعارية التي أدّت إلى بعض الأحداث المتعلقة بدور أمريكا وعلاقتها بالشرق الأوسط، حيث تحدّث في إحداها عن "النسق الاستعاري الذي اعتمدته الإدارة الأمريكية خلال ولاية بوش الأب لتبرير غزو العراق وتسويغه مطلع التسعينات"[1]. وفي مقالة ثانية تحدّث عن النسق الاستعاري الذي أدّى إلى "نسف البرجين التجاريين العالميين بنيويورك في الحادي عشر من سبتمبر"[2]. وتحدّث في مقالة ثالثة عن النسق الاستعاري الذي ارتكز عليه "الغزو الثاني للعراق على يد بوش الابن لإنجاز ما عجز الأب عن تحقيقه"[3].

إن هذه الأنساق أو المفاهيم الاستعارية قد دفعت إلى اتخاذ تلك المواقف السياسية التي تؤدّي إلى سلوك القتل والتدمير، فالاستعارة قد تقتل –كما يقول عنوان الكتاب– بسبب المخاطر الجسيمة والكبيرة التي تترتّب عليها.

إن الاستعارة –كما هو واضح– تعد أسلوبا تفكيرياً يتصور فيه الإنسان الأشياء من خلال مقارنتها –بوعي أو بدون– بأشياء أخرى، فالذي يدخل على سبيل المثال بيتاً جديداً لأول مرة يضع يده مباشرة في منتصف الباب للبحث عن المقبض، وإلى جوار الباب مباشرة للبحث عن مقابس الإضاءة، إنه يفعل ذلك لا من خلال معرفته بالمكان بل من خلال مخزون التجارب السابقة التي يستعيرها ليتعامل بها مع هذا الوضع الجديد، إنه يستعير من تلك التجارب المخزنة ما يظنه صالحاً للتعامل مع الوضع الجديد. لقد تعودنا أن نسمع مثلاً: (الناس معادن)، و(الزواج قفص ذهبي)، و(الحياة

---

(1) حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص 14 (من مقدمة المترجمين).

(2) السابق، ص 15.

(3) السابق، ص 16.

عقيدة وجهاد)، و(الأم مدرسة) ،و(إنما الأمم الأخلاق).. إلخ. إننا هنا نعاين شيئاً ونحاول أن نفهمه في ضوء شيء آخر، من خلال سحب بعض الخصائص والسمات من أحد الطرفين إلى الآخر.

إن الاستعارة وفق هذا التصور هي رؤية تتغلغل في عقل الإنسان وتحدد اختياراته السلوكية والمعرفية والشعورية حتى على المستوى الفردي، فالإنسان الذي ينظر إلى الحياة على أنها غابة –مثلا– سيعيش حياته في توجس وخوف من أن يتعرض للأذية والافتراس في أية لحظة، وسيعيش حياته منطوياً لا يثق أو يختلط إلا بقلة قليلة من الناس. أما من يرى الحياة على أنها حديقة أو رحلة سياحية فسيحرص على أن يستمتع قدر ما يستطيع وأن يتعرف على كل شيء يراه، وأن يتطلع إلى التعرف على ما يشبع رغبات البهجة وحب الاستطلاع لديه. ومن هنا تقوم العلاجات المعرفية النفسية على فكرة تغيير تصور الإنسان عن الشيء الذي يقلقه، إنها تحاول أن تزرع استعارة جديدةً مكان المختزن في عقل الإنسان المريض، لأن هذه الاستعارة الجديدة سينجم عنها سلوك جديد بلاشك.

الاستعارة والثقافة:

يؤكد عدد من الباحثين في اللسانيات الإدراكية على الارتباط بين الاستعارة والثقافة المجتمعية، ويعد كتاب (:Metaphor in Culture Universality and Variation) واحدا من الكتب التي تحدثت بشيء من التفصيل عن هذا الموضوع، حيث نص مؤلفه في مقدمته على أن "السؤال الرئيسي الذي يهتم به في هذا الكتاب هو: إلى أي مدى وبأي الطرقٍ ترتبط الفكرة الاستعارية

بفهم ثقافةٍ أو مجتمع ما"[1]. وتحاول مثل هذه الدراسات أن تجيب عن تساؤل مهم، هو: مَن يؤثر أو يصنع الآخر: أهي الثقافة أم الاستعارة؟، وتكاد تتفق تلك الدراسات على أن العلاقة تبادلية، فقد تلعب الثقافة دورا مهما في تشكيل الاستعارات، وفي أحيان أخرى قد تؤدي الاستعارة دورا مهما في صناعة الثقافة وإنتاج السلوك العام[2].

وتتأتى هذه العلاقة بين الاستعارة والثقافة من خلال ما سبق قوله من أن اللسانيات الإدراكية ترى بأن الاستعارة هي (فكرة) منبثقة عن الوعي الإنساني وليست مجرد تعبير لغوي، وبحكم أن الثقافة هي منظومة من الأفكار التي يمتثل لها السلوك الإنساني عند جماعة من الناس، فإن هذا يعني أن الفكرة الاستعارية قد تكون واحدة من تلك الأفكار الضالعة في تشكيل الثقافة، أو ناتجا منصاعاً لمفاهيم تلك الثقافة، وهو ما يسهم بلا جدال في برمجة السلوك الثقافي وإعادة إنتاجه.

إن واحدا من أشكال العلاقة بين الاستعارة والثقافة يظهر في أن المفاهيم الاستعارية تتشكل أحيانا من أفكار الثقافة المجتمعية، ويمكن استظهار شيء من ذلك في تلك المفاهيم الاستعارية التي تتنوع بين ثقافة وأخرى. وكمثالٍ لذلك يشير أحد الباحثين إلى فرقٍ في الاستعارات الشائعة عن (الوقت) بين المجتمعات المتقدمة

---

(1) ***Metaphor in Culture: Universality and Variation***. **Zoltan Kovecses. P 2.**

(2) **Look: *Metaphor in Cognitive Linguistics*. Raymond W. Gibbs, Gerard J. Steen. p 49. and: . *Everyday Conceptions of Emotion: An Introduction to the Psychology, Anthropology and Linguistics of Emotion*. J.A. Russell, José-Miguel Fernández-Dols, Anthony S.R. Manstead, Jane C. Wellenkamp. p 3.**

والمجتمعات المتخلّفة[1]، فالمجتمعات المتقدمة الصناعية تبني تصوراً للوقت في ضوء المال أو الذهب، لذلك تشيع في حديث أفرادها عبارات من مثل:

- أنت تضيّع وقتي.
- لا أملك وقتاً أعطيك إياه.
- كيف تصرف وقتك هذي الأيام.
- يضيع كثير من وقتي عندما أمرض.

فهذه العبارات تنجم عن تصور استعاري ثقافي يرى نفاسة الوقت وغلاء قيمته، ولذلك تنبثق تعبيراته من مفهوم استعاري يرى بأن (الوقت مال). أما المجتمعات المتخلّفة التي تهدر قيمة الوقت فتشيع فيها عباراتٍ من مثل:

- خذ كل وقتي ، فأنا معك حتى الصباح.
- نستهلك الوقت انتظاراً لأذان الإفطار.
- لا تأبه بتبذيرنا الوقت في هذا الحوار.

فهي تنطلق من مفهوم استعاري مختلف، يرى بأن (الوقت عملة رخيصة)[2] .

ومثل ذلك الاستعارة الاتجاهية، فقد تتأثر بالثقافة والتراث المشترك. فنحن نرى مثلاً كيف يأخذ "تصوّر اليمين جزءاً كبيراً من النسق الإيجابي في الحضارة الإسلامية، لتعلّق الأمر بعدد من الآيات القرآنية التي ربطت الفلاح باليمين، ويتعلق كذلك بكثيرٍ

---

(1) انظر: بنيات المشابهة في اللغة العربية، عبدالإله سليم، ص68، 69.

(2) انظر: السابق، ص68، 69.

من كلام العرب وخاصة الشعر"[1] في حين أن (اليمين) قد يرتبط في الثقافة الغربية بمعنى المحافظة والتشدّد.

كما قد تسهم الثقافة في إضفاء صبغة ثقافية على بعض المفاهيم الاستعارية الإنسانية المشتركة، ذلك أن التجربة الإنسانية –كما سبق القول– سواء في شكلها المادي المشترك بين جميع الناس، أو في شكلها الثقافي الخاص تعد من المصادر المهمة في بناء المعرفة والإدراك الإنساني. إن تلك التجارب الإنسانية المشتركة مثل الحركة والطعام والنوم..الخ وكذلك تلك التجارب الحياتية المختلفة بين ثقافة وثقافة ستظهر متجسدة في اللغة –أي لغة– بشكل قد يعكس هذا الوعي الإنساني المشترك، أو قد يعكس حالة التنوع والاختلاف الثقافي. ولهذا تتحدث اللسانيات الإدراكية عن (المشتركات الإدراكية **cognitive universals**)، وهي تلك المبادئ والمفاهيم المشتركة التي تعكسها اللغة عند الناس كلهم على اختلاف أجناسهم ، وعن (الاختلافات الإدراكية **cognitive variations**) وهي تلك المفاهيم الثقافية التي تختلف من لغة إلى أخرى[2].

---

(1) السابق ، ص 72، 73.

(2) **Look: *Cognitive Linguistics, an Introduction*, Vyvyan Evans and Melanie Green, p 54.**

وإذا طبقنا هذا على الاستعارة فإن هذا يعني وجود مفاهيم استعارية إنسانية مشتركة ناتجة عن التجربة الفيزيائية الإنسانية المشتركة، كما يعني أيضا حسبما يقرر أحد الباحثين إلى وجود اختلاف في الاستعارات من ثقافة إلى أخرى[1].

فإذا كان مصدر الاستعارة تجربة إنسانية مشتركة فسينتج عنه إنتاج مفهوم استعاري مشترك في كل الثقافات تقريباً، ولكن تلعب الثقافة دورا مهما في تكييف هذه الاستعارة وفقا للمعطى والحالة الثقافية. "ففي بعض الحالات قد تتشارك لغتان المفهوم الاستعاري نفسه، ولكن يتم إظهار الاستعارة بشكل مختلف في اللغتين"[2]. ويمكن الوقوف في السطور التالية عند مفهوم استعاري مشترك في الوعي الإنساني للكشف عن تطويعه ليتناسب مع التصور والرؤية الثقافية. إن واحدة من الاستعارات الإنسانية المشتركة هي تلك الاستعارة التي يتم في ضوئها فهم (الدولة أو الأمة في ضوء مفهوم العائلة)، فهي تعد استعارة مفهومية شهيرة تتواجد في جميع اللغات الإنسانية تقريبا. هذه الاستعارة يشير باحثون إلى وجودها في مختلف الأمم، فهي موجودة في الخطاب السياسي الهندي والروسي والأمريكي[3]،ويشير باحث عربي إلى استخدامها في الخطاب السياسي العربي[4].

---

(1) ***Metaphor in Culture: Universality and Variation***. **Zoltan Kovecses. p 232.**

(2) ***Metaphor a Practical Introduction***, **zoltan kovecses, p 216.**

(3) ***Thinking Points: Communicating Our American Values and Vision***, **George Lakoff, Farrar, p 49.**

(4) ينظر: الفصل الرابع من كتاب: استراتيجيات الخطاب والإقناع (خطب الرئيس السادات نموذجاً)، د.عماد عبداللطيف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012.

ويعزو لاكوف سبب شيوع هذه الاستعارة المفهومية بين لغات وثقافات مختلفة إلى أن "تجربتنا الأولى في كوننا "محكومين" تحدث في العائلة، حيث "يحكمنا" الوالدان، فهم يحموننا، ويخبروننا بما يمكن أن نفعل وما لا يمكن، ويتأكدون من توفر المال والتموين الكافي لدينا، ويربوننا ويعلموننا"[1].

إن هذه التجربة الإنسانية المادية المشتركة هي مصدر هذا المفهوم الاستعاري المشترك بين اللغات والثقافات الإنسانية، ولذا يؤكد أحد الباحثين بأن مثل هذه التجارب الإنسانية بشكلها المادي قد تزرع مجموعة من الاستعارات على مدار التاريخ، وتستمر هذه الاستعارات مستعملة إلى اليوم، ويقرر بأن الخطاب السياسي قد يزودنا بحالات وأمثلة لهذا النوع من الاستعارات المستخدمة على مدار التاريخ لإغواء الجماهير[2].

ويأتي الغرض من استخدام هذه المفاهيم الاستعارية في الخطابات السياسية والوطنية المختلفة نظرا لقدرة مثل هذه الاستعارة (الدولة عائلة) على صناعة الاستجابة الجماهيرية للمطالب السياسية. على أن توظيف هذه الاستعارة المفهومية يختلف من تصور إلى آخر ومن اتجاه إلى اتجاه ومن ثقافة إلى ثقافة. ففي أمريكا مثلا يوجد حزبان يتصارعان على إدارة الحكومة، وكل حزب يعيد توظيف هذا المفهوم الاستعاري وفقاً لمنظوره ورؤيته وثقافته السياسية، فالمحافظون مثلا يحكم تصورهم السياسي (أنموذج عائلة الأب الحازم)، إذ يرون بأن الحكومة تقوم في إدارة الدولة بدور الأب الحازم في

---

(1) ***Thinking Points***, **George Lakoff**, **p 49**.

(2) ***Perspectives in Politics and Discourse***, **Urszula Okulska and Piotr Cap** , **p 24**.

إدارته للعائلة، والأب الصارم هو السلطة الأخلاقية في العائلة، فهو من يعرف الصواب من الخطأ، وهو من يحق له معاقبة المخطئ، وهو من يرأس بيت العائلة، ومن المحظور تحدي سلطته أو قراراته، وطاعته واجبة[1]، ولهذا تقوم الفلسفة السياسية لهذا الحزب على الصرامة والحزم.

في حين يحكم تصور الليبراليين وفلسفتهم السياسية (أنموذج العائلة الحانية)، ففي "هذا الأنموذج يوجد والدان ملتزمان أخلاقيا بنمو أطفالهم، وواجبهم الأساسي هو أن يحبّوا أطفالهم، وأن يحنو عليهم ليعيشوا سعداء"[2]. ولهذا تقوم الفلسفة السياسية لهذا الحزب في إدارة الدولة على تقديم الدعم والتسهيلات التي تكفل رغد العيش والحياة الكريمة للمواطن الأمريكي.

إن هذه المفهوم الاستعاري (الدولة عائلة) يبدو ذا طبيعة إدراكية ذهنية صنعها محيط الإنسان وظروفه الحياتية، وهو ما يجعله –حسب البلاغة الإدراكية– ذا قدرة توليدية وإنتاجية لصناعة الفعل والخطاب الإنساني وتكييفهما وفقا للمنظور والرؤية الثقافية.

ويحضر هذا المفهوم الاستعاري (الدولة عائلة) في الخطاب السياسي والوطني السعودي، ولكن يتم تكييفه وتوظيفه ثقافياً لتحديد الواجبات التي يمكن أن يضطلع بها المواطن أو الدولة، ويمكن إبراز ذلك من خلال عرض بعض التعبيرات التي استخدمها الخطاب الإعلامي السعودي خلال احتفائيته باليوم الوطني(85). فمن

---

(1) ***Thinking Points***, **George Lakoff**, **p 57**.

(2) ***Thinking Points***, **George Lakoff**, **p 52**.

الواضح من خلال تتبع تلك التعبيرات تناسل هذه المفهوم الاستعاري الرئيس (الدولة عائلة) إلى طائفة من التعبيرات الاستعارية المختلفة، فبعض التعبيرات الاستعارية تنظر إلى (الملك على أنه الوالد أو الأب)، كما تدل على ذلك العبارات التالية:

- **(الوالد القائد سلمان بن عبدالعزيز).**
- **(ولاة الأمر الذين يسهرون ويحرصون على راحة المواطن).**

وثمة تعبيرات استعارية أخرى يتم النظر فيها إلى أن (المواطنين هم إخوة)، كما في العبارات التالية:

- **(أخي المواطن....).**
- **(وهذا هو ما ينتظر من الإخوة المواطنين).**

وينظر في تعبيرات أخر إلى أن (أرض الوطن هي بمنزلة البيت أو الدار)، كما في العبارات التالية:

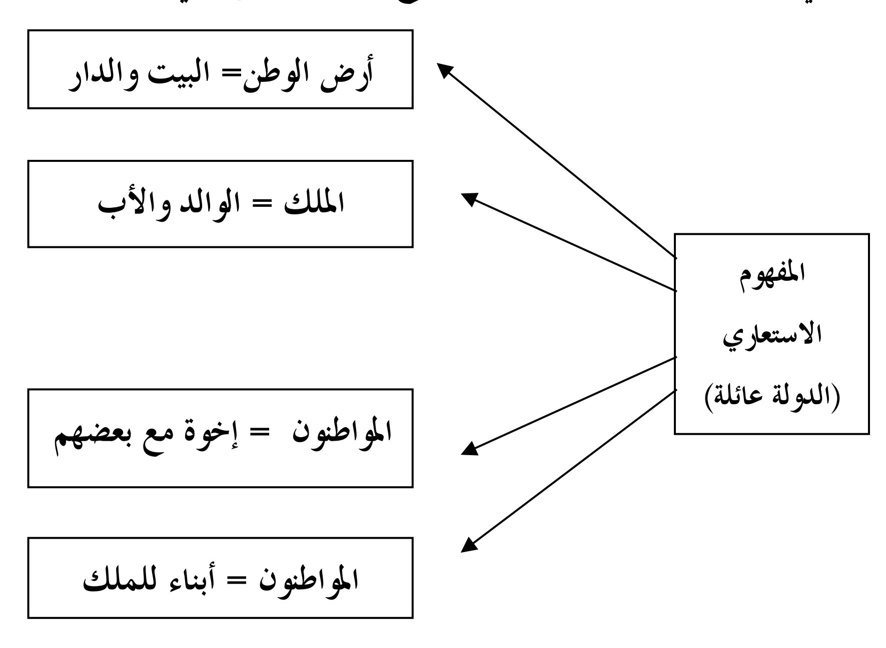
- **(اسلمي يا دار).**
- **(ترتيب البيت السعودي).**
- **(الذود عن حياض الوطن).**

ويتم فيها النظر أيضا إلى (المواطنين على أنهم أبناء)، كما في العبارات التالية:

- **(إتاحة الفرصة لأبناء الوطن).**
- **(تنشئة المواطن على حب العمل الجاد).**

إن هذه التعبيرات الاستعارية الشائعة تظهر في شريحة عريضة من خطاب الإعلام السعودي، وهي تنبثق كما هو ظاهر من مفهوم استعاري أو استعارة مفهومية رئيسة

ترى بأن (الدولة عائلة)، فهذه التعبيرات كما هو واضح تستعير خصائص العائلة لتفهم بها الدولة، بحيث يكون الملك هو الأب والوالد لهذه العائلة، والمواطنون هم الأبناء للملك، وهم أعني المواطنين إخوة فيما بينهم، وتكون أرض الوطن هي الدار أو البيت التي تسكنها هذه العائلة. ويمكن إيضاح ذلك بالشكل الآتي:



إن هذا المفهوم الاستعاري الرئيس (الدولة عائلة) هو بمثابة البؤرة أو مصدر الضوء الذي تشع منه كل التعبيرات الاستعارية السابقة، وهو ما يكشف عن فهم الدولة في الوعي السعودي في ضوء مفهوم العائلة. على أنه لابد من التأكيد أيضا على عدم اختصاص هذه التعبيرات الاستعارية بالخطاب السعودي، وإنما هي موجودة تقريبا حسبما يذكر أحد الباحثين في كل الخطابات التي استعملت الاستعارة المفهومية

ذاتها، حيث يتم في تلك الخطابات اعتبار "أرض الوطن هي المنزل، والمواطنون إخوة، والحكومة أو من يرأسها هم الوالدان"(1).

إلا أن الفرق بين ثقافة وثقافة أو مجتمع ومجتمع يكمن في دوافع توظيف هذا المفهوم وتجلياته الثقافية والسلوكية، ذلك أن هذا المفهوم الاستعاري المعرفي سيتمظهر في الفعل والسلوك الإنساني مثلما تمظهر في القول والخطاب، حيث تترسخ معظم المفاهيم الاستعارية لاشعورياً في عقل الإنسان وتصبح بنياتٍ قارّة في العقل لها قدرة على إنتاج الفعل وتوليد السلوك الإنساني المنصاع شعوريا أو لا شعوريا لهذا التصور الإدراكي. وهذا هو ما يهدف إليه الخطاب السياسي –بوعي أو بدون وعي– عندما يستخدم مثل هذه التعبيرات الاستعارية ذلك "أن هدف الخطاب السياسي هو تفعيل منظومة قيمية ليعيد الناس النظر في مواقفهم واهتماماتهم واعتقاداتهم لتغيير منظورهم في المستقبل"(2).

وتعكس الكتابات الإعلامية السعودية عن الدولة والوطن أيضا تجليات هذه الاستعارة المفهومية في هذا الخطاب، حيث يركز هذا الخطاب على أن العناية بالصحة والتعليم مسؤولية الدولة، ولهذا يجب أن تقدّم الدولة الخدمات الصحية والتعليمية مجانا لكافة المواطنين، وهذا امتثال واضح لثقافة المجتمع حول دور العائلة التي يعد الاهتمام

---

(1) ***Thinking Points***, **George Lakoff**, **p 50**.

(2) ***Decoding Political Discourse: Conceptual Metaphors and Argumentation***, **Maria– Lonela Neagu**, **p 3**.

بصحة أفرادها وتعليمهم مسؤولية رب الأسرة وواجباً من الواجبات التي يحتمها العرف العام.

ولأن الشعب ينظر إلى الملك بوصفه والداً وأباً فإن معارضته أو رفض قراراته لا يبدو مقبولا على الإطلاق، بل إن حتى مجرد التوجه للملك بالعتاب يعد من المحظورات الكبرى في ذلك الخطاب، وهذا يعد امتثالا واضحاً لصورة الملك الأب، ذلك أن الأب في الثقافة العربية والإسلامية وفي الأعراف الاجتماعية السعودية يمثل قيمة كبرى لا يجوز المساس بها شرعا ولا عرفاً، فالقرآن يقول عن الوالدين: {ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً}، فالنهر أو حتى إبداء التضجر تجاه الوالدين محظور شرعاً، وقد انعكس هذا المفهوم الثقافي في خطاب الإعلام السعودي تجاه شخصية الملك، فمادام أن الملك هو أب الشعب ووالده السياسي فمن الطبيعي أن يحظى بالمعاملة ذاتها التي يجب أن يعامل بها الفرد والده البيولوجي.

ويبدو أثر هذه الثقافة الاجتماعية واضحاً حتى عند الحديث عن المعارضين السعوديين في الخارج، حيث تستخدم معهم تعبيرات استعارية مستوحاة من العلاقة العائلية المتوترة، إذ يوصف هؤلاء المعارضون بـ (العقوق)، أو (الجحود) أو (نكران الجميل)، وهي تعبيرات استعارية انبثقت من الثقافة المجتمعية التي تستخدم غالباً مثل هذه التعبيرات مع أولئك الأشخاص الذين يخرجون عن طوع والديهم أو عائلاتهم ولا يعاملونهم بما توجبه الثقافة السائدة أو الأعراف الاجتماعية.

ويُنسب السعوديون في خانة الجنسية إلى الهوية (السعودية) ويُعزون إليها. وهذا شكل من أشكال الامتثال في هذا الخطاب لثقافة العادات والتقاليد العائلية المعروفة. فقد درجت العادة والعرف الاجتماعي على أن جميع أفراد العائلة يحملون اسم عائلة

رب الأسرة ويُنسبون إليها، وهذا يفسّر سرّ نسبة كل مواطن داخل أراضي المملكة إلى السعودية، بحيث يظهر ذلك لدى جميع السعوديين في بطاقة الهوية تحت خانة الجنسية بأنه (سعودي)، فكل مواطن هو فرد من هذه العائلة، لذا كان من الطبيعي أن ينتسب إليها كما تقضي العادات والأعراف العائلية، وهو ما يظهر في الخطاب الوطني السعودي من خلال الفخر بالانتساب إلى هذه العائلة وحمل اسمها.

ولا غرابة في ضوء هذا التصوّر أن يظهر التلاحم والترابط بين الملك وشعبه، ذلك أن الأب (الملك) هو محلّ الحب والاحترام والتقدير، والأبناء (الشعب) أهل للحنان والإكرام، وهذا هو الذي يكشفه الخطاب الإعلامي السعودي تجاه الملك سلمان –حفظه الله– ، حيث يكشف هذا الخطاب أن الملك والشعب يمثّلون عائلة واحدة متلاحمة متماسكة مترابطة.

إن مثل هذه التعبيرات الاستعارية قد تحولت إلى قوالب ثقافية تحكم وعي الفرد والمجتمع فلا يستطيع التحرك إلا داخل حدودها فقط، وهذه القوالب الثقافية كما يذكر أحد الباحثين هي قوالب افتراضية مشتركة مسلّم بها لدى مجموعة مجتمعية، وتلعب دورا مهما في فهمهم لهذا العالم وسلوكهم داخله[1].

إن هذه العبارات ترتبط بإطار مفاهيمي، وهذا الإطار متعلّق بمنظومة أخرى من الأطر المتناغمة التي تصنع لا شعوريا منطق الفهم والتفكير الإنساني. وبالتالي يمكن القول بأن "معظم ما نعيه في الخطاب السياسي الموجه للجمهور لا يكمن في الكلمات

---

(1) ***Cultural Models in Language and Thought***, **Dorothy Holland, Naomi Quinn, p 4.**

ذاتها، وإنما في الوعي اللاشعوري الذي نستدعيه من خلال هذه الكلمات" [1].إن مثل هذه الصياغات وما ترتبط به من مفاهيم استعارية تتحول إلى أطر مهيمنة يمتثل لها السلوك الشعبي وتتشكل بها الثقافة المجتمعية، بحيث تحدّد هذه الأطر أهداف الناس، وأفعالهم، وما يعدونه أفعالا جيدة أو سيئة[2].

لقد اتضح من خلال ما سبق كيف أن المعطيات الثقافية تستثمر المفهوم الاستعاري ليقوم بتقديم تعليل سببي لفهم تصور ما بطريقة معينة، إذ يُفهم المصدر/ المستعار منه "وهو العائلة في الأمثلة السابقة" "بشكل شمولي، فإذا تم قبول جزء منه فسيتبع ذلك قبول بقية الأجزاء"[3]. أي بعبارة أخرى يمكن أن يقال بأن هناك تبعات واستلزامات ثقافية يفرضها المفهوم الاستعاري على المتلقي إن بشكل واعٍ أو غير واعٍ. إنه يقدّم له خلفية حجاجية تستند إلى المعطيات الثقافية لإضفاء طابع الشرعية والقبول للسلوك المنشود، ولترسم له المنهج والطريق الذي ينظر فيه أو يتعامل به مع الوضع القائم.

---

(1) ***The Political Mind**: **A Cognitive Scientist's Guide to Your Brain and Its Politics***, **George Lakoff**, **p 43**.

(2) ***Don't Think of an Elephant!***: **Know Your Values and Frame the Debate**, **George Lakoff**, **p**: **xv** .

(3) ***Analysing Political Discourse**: **Theory and Practice***, **Paul Anthony Chilton**, **p 198**.

الخلاصة:

اهتمت اللسانيات الإدراكية بالاستعارة كثيراً[1]، وذلك لأهمية المشابهة في تحقيق المعرفة والإدراك الإنساني، فإن الإنسان يحمل في عقله عدداً من التجارب المخزّنة التي يستعير منها للتعامل مع الوضع الجديد الذي يمر به.

ولهذا يقرّر باحثو اللسانيات الإدراكية كون الاستعارة بنية مفهومية أساسية يعمل من خلالها العقل الإنساني وتتجلى في أقواله وأفعاله. وقد قام باحثو اللسانيات الإدراكية بإثبات ذلك في عدد من الدراسات المختلفة.

ويفرّق باحثو اللسانيات الإدراكية بين المفهوم الاستعاري والتعبير الاستعاري، ذلك أن المفهوم الاستعاري قارّ ثابت في العقل، في حين أن التعبير اللساني يظهر في اللسان والكلام، وكل تعبير استعاري منبثق من مفهوم استعاري.

وتؤثر الثقافة كثيراً فيما يستقبله العقل الإنساني من مفاهيم استعارية، حيث يختلف الناس في ثقافاتهم وعاداتهم، وبالتالي تختلف المفاهيم الاستعارية في عقول الناس. ويؤثر هذا الاختلاف على الاستجابات التي تصنعها هذه الاستعارات في عقول الناس، بحسب الثقافة التي ينتمي إليها من تُلقى إليه الاستعارة.

---

(1) ليس من هدف هذا البحث تأصيل مثل هذه الرؤى الإدراكية المتعلقة بالاستعارة والمجاز في التراث العربي، ولكن لابد من الإشارة إلى وجود تقاطعات بين هذه التصورات الإدراكية المعاصرة وبعض تصورات التراث العربي، وقد درس ذلك أحد الباحثين في كتاب خاص أكّد فيه وجود "مفاهيم قديمة تنطوي على عمقٍ في التفكير والتصور والتنظير، مثل مفاهيم الصورة والنظم ومعنى المعنى والاستدلال". المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي، د.وسيمة مصمودي، ص239.

وقد حاول البحث إيضاح ذلك من خلال إحدى الاستعارات المشتركة بين الناس، وهي استعارة (الدولة عائلة)، وكيف أن هذه المفهوم الاستعاري رغم كونه مفهوماً كونياً مشتركاً إلا أن الناس قد يختلفون في تكييفه بحسب انتماءاتهم الثقافية والسياسية كما هو موجود بين الحزبين الرئيسين في الولايات المتحدة الأمريكية.

وحاول البحث عرض أثر هذا المفهوم الاستعاري في الوعي الوطني السعودي، وذلك من خلال كتابات مجموعة من الإعلاميين السعوديين في احتفالهم باليوم الوطني السعودي 85.

وخلص البحث إلى أن الثقافة السعودية التي تعطي العائلة قيمة كبيرة قد أثرت بشكل واضح على مفاهيم الإنسان السعودي ومنظوراته الوطنية، حيث يحمل المواطن كل الاحترام والإجلال والتقدير لقيادته السياسية مثل تقديره لوالديه تماماً. كما يؤثر هذا المفهوم الاستعاري (الدولة عائلة) في عدد آخر من التصورات والسلوكيات التي يتلقاها أو يقوم بها المواطن السعودي.

الفصل الثالث:
ثنائية الشكل والخلفية وتجلياتها الأسلوبية

– دراسة نظرية تطبيقية –

1. مدخل:

تقرّر العلوم الإدراكية بأن هناك مسارات يتحقق من خلالها الإدراك الإنساني، وهذه المسارات تنعكس على حياة الإنسان، وتتأثر بها أفعاله وأقواله وسلوكياته. فعلى سبيل المثال، تقرر العلوم الإدراكية أن قدراً كبيراً من الإدراك الإنساني يتحقق عن طريق الجسد، وهذا يعني تجسيد الإدراك في اللغة الإنسانية، أي كونه مبنياً على مدركات حسية تتبدّى في لغة الإنسان بشكل حتمي، وتعمل لغة الإنسان في مخاطباته ومكاتباته وفقاً لذلك، وهذا هو ما يُعرف بـ **Embodiment** ، أو (الجَسْدنة) كما يترجمها بعض الباحثين.

إن هذه الفكرة تعدّ مركزية وأساسية في اللسانيات الإدراكية، حيث يذهب باحثو اللسانيات الإدراكية إلى أن "جَسْدنة خبرتنا تعني أنها مبنية جزئيا على طبيعة الأجساد لدينا ومن قِبل منظومتنا العصبية، ولها نتائج على الإدراك. بعبارة أخرى: إن المفاهيم التي نستطيع الوصول إليها، والطبيعة في الواقع الذي نفكّر ونحدّث عنه هي وظيفة تجسيدنا، ولا يسعنا إلا أن نتحدث عما يمكننا إدراكه وتصوره، والأشياء التي يمكن أن ندركها ونتصورها مستمدة من التجربة المجسدة، ومن وجهة النظر هذه يجب أن يتحمّل العقل البشري بصمة التجربة المجسّدة"[1].

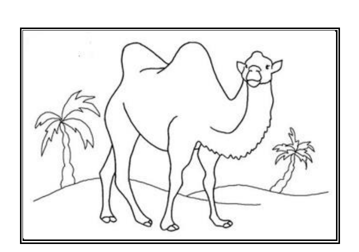
---

(1) (طبيعة اللسانيات الإدراكية)، ففيان ايفانز، وميلاني جرين، ترجمة: عبده العزيزي.، مجلة فصول، العدد 100، ص 54 .

إن هذا يعني بأن ما ندركه في العالَم ليس معطىً موضوعياً، ولكن الذي نعيه في الواقع إنما يتشكل عبر إدراكنا الجسدي، حيث تبدو تمثيلات ذلك لغوياً مقيدة بهذه العمليات الإدراكية الأساسية التي تتم من خلالها المعالجة الذهنية والعقلية.

وسأحاول في السطور الآتية شرح ذلك من خلال بيان كيف يتغلغل هذا الإدراك الحسي الجسدي في لغة الإنسان، وكيف اعتمدتْ على ذلك بعض الدراسات الإدراكية في مقاربتها للغة عموماً، ولأدبية اللغة بشكل أخص.

2. الشكل والخلفية في الإدراك الإنساني:



صورة 1

لو طُلب من مجموعة من الناس ذِكْر ما يرونه في الصورة (1) أعلاه، وتحديد مضمون الصورة بكلمة واحدة؟ فسيقول الجميع: إنه (الجمل). هذا على الرغم من أن في الصورة عناصر أخرى غير الجمل، مثل النخل، والرمل، والسماء. إن السبب في التركيز على (الجمل) وعدم الاهتمام بالأشياء خلفه يأتي لأن الإدراك البصري الإنساني يلتقط الصور على أساس أنها مكونة من شيئين: (الشكل) **figure** و(الخلفية) **ground**.

ويمكن إيضاح الفكرة أكثر بالنظر إلى الشكلين الآتيين (صورة 2، صورة 3):



صورة 2



صورة 3

إن الصورتين 2 و 3 تحتمل فيهما كل صورة احتمالين، حيث يمكن أن ننظر إلى الصورة 2 إما على أنها صورة لمزهرية، أو لوجهي إنسانين متقابلين. وقد ننظر إلى الصورة 3 إما على أنها صورة لشجرة، أو لوجهي حيوانين متقابلين. ويتم ذلك من خلال إدراك الصورتين على أنهما مكوّنتان من وحدات في الأمام وعناصر في الخلف، وهذا يعني أن إدراكنا البشري يدرك الأشياء من خلال ثنائية (الشكل والخلفية)،

وذلك بتمييز ما نستحضره وهو (الشكل)، عما وراءه، وهو (الخلفية)، بحيث يكون التركيز والاهتمام نحو الشكل لا الخلفية.

إننا بدون هذا التمييز بين الشكل والخلفية لن نستطيع أن ندرك الصورة جيداً، لأننا "عندما لا نملك القدرة على إنشاء التفريق بين الشكل والخلفية، فإننا سنكون قادرين فقط على إدراك مجال مسطّح من الأشكال والألوان المتداخلة "[1].

وتقوم على هذا المبدأ دراسات علم النفس الجشطالتي **Gestalt Psychology** ، فكل ما ندركه بأبصارنا فإننا ندركه في ضوء هذا المبدأ، فأنت على سبيل المثال عندما "تنظر إلى الأعلى وترى طيرا يحلق وحيدا في السماء، هذا الطائر هو (الشكل)... والسماء هي (الخلفية)... وهذا هو (إدراك الشكل والخلفية **figure– ground perception**)"[2] . ويمكن القول "بأن هذا النوع من الإدراك والقدرة على تمييز الشكل من المجال (الخلفية) هو نزعة تنظيم فطرية. إننا لا نتعلّم فعل ذلك، وإنما نفعل ذلك على الأرجح بشكل عفوي في الطفولة المبكرة"[3] .

على أنه "يجب أن نضع في أذهاننا أن هذا الإدراك ليس بالضرورة انعكاساً لبنية الواقع الخارجي نفسها.. وإنما هو بناء ذهني ليس بالضرورة يعكس حقيقة العالم

---

(1) ***Cognitive Poetics An introduction***, **Peter Stockwell, , p 15.**

(2) ***Psychology: A Self-Teaching Guide***, **Frank J. Bruno, John Wiley, p 59.**

(3) ***Psychology: A Self-Teaching Guide***, **By Frank J. Bruno, p 59.**

الفيزيائي"[1]. وقد اهتم علم النفس الجشطالتي بوضع القوانين المختلفة **Gestalt laws** التي تحكم إدراكنا للشكل والخلفية[2].

إن هذا يؤكد أن "الوعي الإنساني يقوم في أي مشهد معطى بالفصل آلياً بين الشكل والخلفية، حيث (الشكل) هو الكيان الذي ينال مظهراً مهيمناً بين الأشياء الأخرى... وتأتي (الخلفية) في مقابل (الشكل)، وهي ذلك الجزء من المشهد القابع في الخلف"[3]. ولا يخص هذا الأمر الإدراك البصري فحسب، بل يظهر في غيره من المدركات. إنه لمن الممكن القول إن "من القدرات البشرية الأساسية القدرة على التمييز بين الأشياء المختلفة في إدراكنا لها، والقدرة على الانتباه لواحدة منها، أو لمجموعة منفردة منها دون غيرها باهتمام وتركيز أكبر من اللذين نمنحهما للأشياء الأخرى التي دفعنا بها إلى الخلفية. تتضح هذه المقدرة جلية في المجال البصري، ولكنها موجودة كذلك في قدرتنا على السماح للأصوات والمذاقات والروائح والملامس المختلفة بالدخول في حيز انتباهنا من عدمه، نستطيع أن نرسم حدود الأشياء التي تفصلها عن خلفيتها"[4].

---

(1) ***Psychology: A Self-Teaching Guide***, **By Frank J. Bruno, p 59.**

(2) **Look: *Psychology: A Self-Teaching Guide*, By Frank J. Bruno, p 60.**

(3) ***Cognitive Linguistics, an Introduction***, **Vyvyan Evans and Melanie Green, p 65.**

(4) (الأسلوبية العرفانية) ترجمة: رضوى قطيط، مجلة فصول ، العدد 100 المجلد 4/25 ، صيف 2017، ص 109.

هذا المبدأ الإدراكي الأساسي (تمييز الشكل من الخلفية) قد سُلّط عليه الضوء في عدد من الدراسات الإدراكية، وذلك بغية الكشف عن تجلياته في اللغة الإنسانية. وهو ما سأوضّحه في السطور الآتية.

3. في اللغة والتركيب:

انتقل هذا التمييز بين الشكل والخلفية من علم النفس الجشطالتي إلى اللسانيات الإدراكية على يد عدد من العلماء من أشهرهم تالمي **Talmy** [1]. .

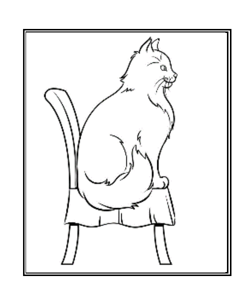
لقد "عُدّ مبدأ الشكل والخلفية فكرة أساسية شديدة الأثر في اللسانيات الإدراكية"[2]، فقد اعتُمِد عليه في تفسير عمليات التصنيف الإنساني **Categorization**، كما استُخدِم أيضاً لتقديم تصورات تتصل بالنحو الإدراكي **Cognitive Grammar**. وسأوضح في السطور الآتية كيف يحضر مبدأ تمييز الشكل من الخلفية في مقاربات النحو الإدراكي.

**** ****

---

(1) **Look**: *Cognitive Linguistics*, **William Croft**, **D. Alan Cruse**, **p 56**.

(2) ***Cognitive Linguistics, an Introduction***, **Vyvyan Evans and Melanie Green,**, **p 13**.



صورة 4

إن النحو الإدراكي يدرس ارتباط البناء النحوي والتركيبي بالإدراك الإنساني، حيث ينظر إلى تأثير الإدراك الإنساني أو تجلياته في الشكل النحوي. ويذكر أحد الباحثين مثالاً لذلك بأننا لو نظرنا مثلاً إلى الصورة السابقة (صورة 4) فسنقول إن (الشكل هو القطة)، وأن (الخلفية هي الكرسي).

ولو طلبنا من مجموعة من الناس وصف هذه الصورة لغوياً بجملة واحدة، فإن معظم المتحدثين سوف يذهبون إلى القول بأن الجملة التي تعبّر عن ذلك، هي:

- القطة فوق الكرسي – (أو) القطة تجلس على الكرسي.

ولكن يبدو من النادر أن يقول أحد الجملة الآتية:

- الكرسي تحت القطة.

والسبب في ذلك يعود إلى أن علم النفس يكشف عن وجود نزعة لدى العقل الإنساني نحو التركيز على عناصر محددة في المشهد البصري، فمثلاً في الصورة السابقة اتجه تركيزنا إلى القطة وليس إلى الكرسي، لأن إدراكنا تعلّم كون القطة أكثر قابلية للحركة أو الصوت أو الفعل، ولذلك أدركناها على أنها هي (الشكل)، والكرسي هو

(الخلفية)، وهو ما أدى إلى صياغة بنائنا التركيبي والنحوي للجملة وفق هذا الإدراك[1].

إن هذا يعني حسب رأي باحثي النحو الإدراكي بأن التراكيب والصياغات النحوية منبثقة من الوعي والإدراك الإنساني. وسأحاول هنا تقديم شرح ميسّر عن ذلك من خلال فكرة تمييز الشكل من الخلفية، وذلك عبر النقاط الآتية:

أولاً: التركيز والاهتمام :

لقد اتضح من الحديث السابق أن الإدراك الإنساني يتوجّه بالتركيز والاهتمام نحو الشكل وليس الخلفية. وهذا الإدراك ينعكس في التركيب النحوي كما سبق القول، إذ "يأتي الاهتمام والتركيز مهماً للنظام النحوي"[2].

وتشير دراسات النحو الإدراكي إلى أن بؤرة الاهتمام قد تتحدد نحوياً عبر طريقين، هما: (تنظيم وترتيب الجملة)، و(اختيار الفعل)[3] . ويمكن الشرح والتمثيل لتنظيم الجملة وترتيبها بما يكشفه كلام الإمام عبدالقاهر الجرجاني عن ارتباط التركيب النحوي بالتركيز والاهتمام. يقول الإمام عبدالقاهر:

---

(1) **Look**: ***Cognitive Linguistics, an Introduction***, **Vyvyan Evans and Melanie Green,, p 17-18**.

(2) ***Cognitive Linguistics, an Introduction***, **Vyvyan Evans and Melanie Green,, p 526**.

(3) **Look**: ***Cognitive Linguistics, an Introduction***, **Vyvyan Evans and Melanie Green,, p 526**.

"قال النحويون: ... قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه، ولا يبالون من أوقعه كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيث ويفسد ويكثر به الأذى، أنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه، ولا يعنيهم منه شيء، فإذا قتل وأراد مريدٌ الإخبارَ بذلك فإنه يقدّم ذكر الخارجي فيقول: قتل الخارجيَّ زيدٌ. ولا يقول: قتل زيدٌ الخارجيَّ. لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة. فيعنيهم ذكره ويهمّهم ويتصل بمسرتهم ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد، وأنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه. ثم قالوا: فإن كان رجلٌ ليس له بأسٌ ولا يُقَدَّرُ فيه أنه يَقتُلُ، فقَتلَ رجلاً، وأراد المخبر أن يخبر بذلك، فإن يُقدِّم ذكرَ القاتلِ فيقول" قتلَ زيدٌ رجلاً"، ذاك لأَنَّ الذي يَعْنيه ويَعْني الناسَ مِن شأنِ هذا القتلِ، طرافَتُه وموضعُ الندْرةِ فيه، وبُعدُه كان منَ الظنّ. ومعلومٌ أَنه لم يكنْ نادراً وبعيداً من حيثُ كان واقعاً بالذي وَقَع به، ولكنْ من حيثُ كان واقعاً مِنَ الذي وقعَ منه"[1].

إن هذا يعني أن تنظيم الجملة من الداخل وترتيب عناصرها قد انطلق من (تمييز الشكل من الخلفية)، وذلك أنه يوجّه التركيز والاهتمام نحو عناصر محددة، ويزيح عناصر أخرى من دائرة الاهتمام، مما يجعل مناط الاهتمام هو الشكل، وما عداه هو الخلفية.

كما يتحقّق التركيز والاهتمام عبر (اختيار الفعل) أيضاً، ويمكن التمثيل لذلك بالمثالين الآتيين:

---

(1) دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر ص 108.

- باع العاملُ الخبز إلى زيد.
- اشترى زيدٌ الخبز من العامل

إن الفعلين (اشترى) و(باع) يطرح كل واحد منهما الاهتمام بفاعل مختلف، حيث يوجّه الفعل (باع) الاهتمام إلى (البائع/ العامل) في المثال الأول، في حين أن الفعل (اشترى) يوجّه الاهتمام إلى (المشتري/ زيد) في المثال الثاني، وعلى هذا يحدّد اختيار الفعل مناط التركيز والاهتمام، وموقع (الشكل) من (الخلفية) في الجملة.

إن هذا يعني بأن التركيب النحوي عبر اعتماده على تنظيم محدد أو اختيار عناصري محدد إنما يُوجِّه الاهتمام نحو عنصر ما بشكل يفوق بقية العناصر اللغوية الأخرى. وهذا العنصر الذي يضعه التركيب النحوي موضع الاهتمام والتركيز يأتي ليكون هو الشكل، في حين أن بقية العناصر الأخرى تبدو بمثابة الخلفية.

ثانياً: علاقة الشكل بالخلفية:

إن جميع التعبيرات الفضائية في اللغة العادية يُعبّر عنها بتخصيص موضع شيء (الشكل) ليرتبط بشيء آخر (الخلفية) كما في الأمثلة الآتية:

- الكتاب على الأرض (الكتاب شكل، الأرض خلفية)
- ذهبت هند إلى المنزل (هند شكل، المنزل خلفية)

ويقرّر باحثو النحو الإدراكي وجود سمات محددة في (الشكل)، وسمات أخرى تظهر في (الخلفية) غالباً، وهي تحكم علاقات الشكل بالخلفية وارتباطهما ببعض، كما يوضحها هذا الجدول:

الشكل	الخلفية
معرفتنا بمكانه أقل	معرفتنا بمكانه أكثر
أصغر	أكبر
متحرك	ثابت
أيسر تركيباً	معقد التركيب
ظاهر	غير ظاهر

إن هذا يعني أن العلاقات والروابط أعلاه بين الشكل والخلفية هي ما يحكم إدراكنا الذهني، ولذلك نراها تنعكس في التركيب والتنظيم النحوي للغتنا اليومي، فمثلاً نحن نقول:

- السيارة عند الشاطئ. (الأصغر هو الشكل، والأكبر هو الخلفية)
- سقطت صخرة على الشجرة (المتحرك هو الشكل والثابت هو الخلفية).

ولكننا عادةً لا نقول العكس، فلا نقول: (الشاطئ عند السيارة) أو (الشجرة سقطت عليها صخرة)، لأن إدراكنا تبرمج على إدراك الأمور وفقاً لتلك العلاقات المعتادة بين الشكل والخلفية، وهذه الطريقة في التعبير هي التي تعوّدنا عليها، حيث يترك هذا الإدراك الذهني بصماته على التركيب النحوي المعتاد في كلامنا.

على أنه لابد من التأكيد أن هذه العلاقات والروابط هي الأصل الذي ينبثق منه التركيب النحوي، ولكن قد يُخالف هذا الأصل لدواعٍ بلاغية أو جمالية، وسوف نوضّح ذلك في مبحث لاحق.

ثالثاً: إدراكنا يصنع نماذج تركيبية:

اتضح مما سبق أن العلاقات والروابط بين الشكل والخلفية تُدرك عادة بطريقة معينة. وأن التركيب النحوي يمتثل في كثير من الأحيان لتلك العلاقات والروابط المعتادة. وبهذا يمكن القول إن التعبيراتِ المكانية والزمانية تُدرَك بوصفها نماذج تركيبية، أو خطاطة تصويرية **Image Schema**، كما تُسمى في اللسانيات الإدراكية، وهي عبارة عن صور ذهنية تُستخدم بوصفها قوالب أساسية تصنع فهمنا المعتاد لما نمرّ به من مواقف في الحياة[1]. بعبارة أخرى يمكن القول إن الخطاطة التصويرية هي نمط مكون من الشكل والخلفية والعلاقة التي تربطهما ببعض، وتتشكل هذه الخطاطات التصويرية في عقولنا من خلال الوسط الخارجي الذي نعيشه ونعايشه، فكل ما ندركه وفقا للسانيات الإدراكية يتشكل من خلال تجاربنا اليومية في الحياة، وهكذا تتشكل الخطاطة التصويرية في عقول الناس ووعيهم. والخطاطة أو النمط الواحد قد يندرج تحته ملايين الجمل. ولنتأمل الجمل الآتية:

- سافر علي إلى الرياض.
- حلّق العصفور في السماء.

---

(1) **Look**: ***Cognitive Linguistics***, **William Croft, D. Alan Cruse. p 56.**

- **دخل محمد المدرسة.**
- **وصلتُ إلى الجامعة.**
- **غادر القطار.**

إن هذه الجمل (وغيرها كثير) تشترك في أنها جميعاً مبنية على خطاطة تصويرية واحدة، وهي:

الشكل + (حركة باتجاه) + الخلفية

وتتشكل في وعي الناس وبفعل التجربة الإنسانية اليومية عدد من الخطاطات التصويرية الأخرى فتصبح معتادة في لغة الاستخدام اليومي، وهي مبنية على العلاقات المعتادة بين الشكل والخلفية.

هذه الخطاطات التصويرية المعتادة يمكن مخالفتها في اللغة الإبداعية، حيث يمكن القول "إن التفصيلات الإبداعية للخطاطة التصويرية يمكن أن تظهر بوصفها تحويراً صادماً أو مثيراً لأنموذج معتاد، وهذا هو الإدهاش Defamiliarization "[1] وهذا ما سنحاول توضيحه في الفقرة القادمة.

أرجو أن يكون الشرح السابق في هذا المحور (4)، قد كشف عن تجذّر هذا المبدأ الإدراكي (تمييز الشكل من الخلفية) في صياغاتنا النحوية، سواء من حيث ما يصنعه التركيب النحوي من اهتمام بعناصر محددة عبر الاختيار أو الترتيب، أو عبر النماذج التركيبية والخطاطات التصويرية التي انبثقت كما أشرنا من وعي الإنسان وإدراكه الجسدي.

---

(1) ***Cognitive Poetics An introduction***, **Peter Stockwell**, **p 18**.

4. في البلاغة والأدب :

تؤكد دراسات الأدب الإدراكية وجود "اتصال بين العمليات اللغوية في بناء النص الأدبي وتفسيره، والعمليات اللغوية في العقل البشري، وتزودنا الشعريات الإدراكية بإقامة الصلة بين الحقلين المعرفيين"[(1)].

ولهذا يسعى هذا النوع من الدراسات إلى معرفة "كيف يمكن لحقل الشعريات الإدراكية أن يفيد بوصفه حلقة اتصال بين الدراسات الأدبية واللسانيات، فالشعريات الإدراكية تدرس العمليات المعرفية التي تحدّد ماهية الاستجابة الأدبية والبنية الشعرية... وتسهم الشعريات الإدراكية في الوقت نفسه... في إنتاج تفسير للعقل المجسّد، أو التأثير الذي نطلق عليه ترميزاً إشارياً أيقونياً، كي تجعل الأحاسيس والانفعالات والصور في اللغة متصورة في العقل كحقيقة فائقة"[(2)].

إن هذا النوع من دراسات اللغة الأدبية قد أخذ اهتمام عدد من الدارسين المعاصرين عبر مقاربات مختلفة، "تُسمّي أحياناً (الشعرية الإدراكية) بـ (الأسلوبية الإدراكية) أو (البلاغة الإدراكية)"[(3)] ، وتتفق جميعها في كونها تدرس أدبية اللغة في ضوء اللسانيات الإدراكية مع فروق يسيرة بينها، وذلك بحسب اختلاف نوع المقاربة

---

(1) انهيار الحاجز بين الدراسات الأدبية واللسانيات، مدخل إلى الشعريات الإدراكية، مجلة فصول، العدد 100، الإدراكيات، مارجريت هـ. فريمان، ترجمة: محمد سمير عبدالسلام، ص 166.

(2) انهيار الحاجز بين الدراسات الأدبية واللسانيات، مدخل إلى الشعريات الإدراكية، مجلة فصول، العدد 100، الإدراكيات، مارجريت هـ. فريمان، ترجمة: محمد سمير عبدالسلام، ص 165.

(3) ***Cognitive Poetics An introduction***, **Peter Stockwell**, **p 60**.

من أسلوبية أو بلاغية أو شعرية، وقد تضمن عدد مجلة فصول الخاص بـ (الإدراكيات) دراسات من هذا النوع ما بين أسلوبية أو شعرية أو بلاغية.

ولعل أشهر دراستين في هذا كتابان يعدّان من أوائل ما ظهر في الحديث عن الشعرية الإدراكية، هما:

1. **Cognitive Poetics An introduction, Peter Stockwell 2002.**
2. **Cognitive Poetics in Practice. Joanna Gavins and Gerard Steen 2003.**

والكتابان يتكاملان فقد ركز أحدهما على التنظير والآخر على التطبيق. ويحاول الكتابان كلّ على حدة الحديث في فصل خاص عن الشكل والخلفية وتجلياتها في الخطاب الأدبي، إذ يؤكد بيتر ستوكول أنه من الممكن "استخدام فكرة الشكل والخلفية بوصفها وسائل لفهم الأفكار الأدبية النقدية العامة، ومن ثم على أنها وسائل لاستكشاف نماذج الوعي الخاصة"[1]. وهو ما يمكن توضيحه من خلال الآتي:

أولاً: في القانون الأدبي العام :

يُقصد هنا الكشف عن خضوع الإدراك الإنساني للأدب إنتاجاً واستقبالاً لقوانين العقل الإنساني دون تحديد ذلك بأديب أو قارئ محدد. ويمكن إيضاح ذلك بالقول إننا نعتمد في فهم العالم بشكل أساسي على قدرتنا في إدراك الأسلوب

---

(1) ***Cognitive Poetics An introduction***, **Peter Stockwell, p 14.**

والفروقات الأسلوبية بين الأشياء، ولهذا فإن ثنائية الشكل والخلفية تعد من العناصر الأساسية في تحليل الأسلوب الأدبي[1].

"إن أعظم تجاوب واضح في ظاهرة الشكل والخلفية تبدو في الفكرة النقدية الأدبية: (الإبراز foregrounding)، حيث يُنظر إلى عناصر محددة في النصوص الأدبية بوصفها أكثر أهمية وبروزا من غيرها"[2].

وذلك أنه "حسب هذه الرؤية تبدو إحدى الوظائف الرئيسية للأدب هي الإدهاش.. وذلك عبر إثارة استغراب القارئ حول عناصر اعتادها في هذا العالم وتقديمها بطريقة إبداعية جديدة"[3].

ويتحقق "الإبراز داخل النص عبر مجموعة من الأدوات، مثل التكرار والتسمية غير المعتادة والوصف المبتكر والتركيب النحوي الإبداعي، والتورية والإيقاع والجناس والنبر الموزون والاستخدام الإبداعي للاستعارة وهكذا"[4]. وهي جميعاً أشكال تدخل ضمن العدول أو التوازي الذي يُستخدم فيه عنصر لغوي بشكل يخالف الاستعمال المعتاد في اللغة اليومية.

---

(1) **Look**: ***Cognitive Poetics An introduction***, **Peter Stockwell**, **p 15**.

(2) ***Cognitive Poetics An introduction***, **Peter Stockwell**, **p 14**.

(3) ***Cognitive Poetics An introduction***, **Peter Stockwell**, **p 14**.

(4) ***Cognitive Poetics An introduction***, **Peter Stockwell**, **p 14**.

إن هذا يعني أن البلاغة الإدراكية والشعرية الإدراكية والأسلوبية الإدراكية تعمل على دراسة العدول أو التوازي الذي يتحقق في لغة ما عن قواعد الإدراك المعتادة من أجل البحث عن قيمته الجمالية أو البلاغية[1].

إن هذا القانون العام (قانون الإبراز) الذي يحكم الصوغ الأدبي يعدّ امتثالاً لإدراكنا الإنساني من خلال ثنائية (الشكل) و(الخلفية)، حيث يقوم الإبراز الأسلوبي بجعل هذه العناصر اللغوية اللافتة للنظر مُميّزة ومُدرَكةً بوصفها (الشكل) الذي ينال التركيز والاهتمام، وتكون بقية العناصر التي جاءت دون تغيير لافت في صوغها اللغوي مُدرَكة بوصفها (الخلفية) التي تراجعت إلى الوراء ليتوجّه تركيزنا واهتمامنا نحو العناصر الأسلوبية البارزة.

ثانياً: في الوعي الخاص :

يُقصد هنا النظر إلى الكيفية التي أثّر فيها الإدراك الإنساني على صوغ كاتب معين لنصه اللغوي، أو الكيفية التي أثّر بها على استقبال هذا النص من قارئ أو جمهور محدد. ويمكن القول إن الكاتب قد يهيمن على كلامه أشكال تعبيرية خاصة، فقد تظهر لديه سمة أو سمات أسلوبية بشكل لافت. هذه السمة أو السمات المهيمنة يمكن عدّها (الشكل)، في حين يكون بقية النص الأدبي بمثابة (الخلفية)[2] .

---

(1) *Cognitive Poetics in Practice*. Joanna Gavins and Gerard Steen, p 57.

(2) Look: *Cognitive Poetics An introduction*, Peter Stockwell, p 14.

وهذا يعني أن هذه الفروقات الأسلوبية تحقق الهيمنة **Prominence** في الشكل بما يميزه من الخلفية عند الأديب المدروس، ذلك "أن أساليب "التوازي والتكرار البلاغي يمكن أن تُناقش بوصفها وسائل لغوية تعكس ارتباط تصورٍ مهيمنٍ بعنصر ما من المشهد، أو بنمط محدد في التصور، وذلك عبر تكرار جذب انتباه المخاطَب إليها"[1].

ولذلك يحسن عند دراسة الظواهر البلاغية إدراكياً في خطاب محدد تفسيرُ ارتباط إنتاج هذه الظواهر البلاغية أو استقبالها بإدراك المنشئ أو المستقبِل في مستواه الفردي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الكوني. لقد سبق القول بأن ثمة خطاطات تصويرية أو نماذج تركيبية صنعها إدراكنا الحسي، وأن التركيب النحوي المعتاد يلتزم بعدد من النماذج التركيبية (الخطاطات التصويرية)، حيث ذكرنا في الأعلى أن من النماذج التركيبية الشائعة النموذج الآتي:

الشكل + (حركة باتجاه) + الخلفية .

ولذلك فإننا لو أردنا أن نعبّر عن قافلة تسير في الوادي فإننا نقول حسب هذه القاعدة:

- سارت القافلة في الوادي. (فهذا تركيب نحوي معتاد)

وليس من المعتاد أن يقول أحد من الناس العكس، فيقول مثلاً:

- سار الوادي في القافلة. (فهذا تركيب غير معتاد)

---

(1) ***Cognitive Linguistics and Poetics of Translation*, Elżbieta Tabakowska, Cunter Narr Verlag, 1993, p 52**.

ولهذا فإن التركيب المعتاد هو التركيب الإدراكي النحوي، وهو الشائع الذي يُكثر الناس صوغ كلامهم على منواله، أما التركيب الإدراكي البلاغي (أو الأدبي) فهو التركيب غير الشائع الذي يخالف التركيب الإدراكي النحوي، ولو وقع مثل هذا التركيب البلاغي في كلام كاتب أو أديب فإننا نحتاج إلى تفسيره من خلال الإدراك الخاص بذلك الأديب. ولننظر مثلاً إلى قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة *** ومسّح بالأركان من هو ماسحُ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا *** وسالت بأعناق المطي الأباطحُ

حيث يُلحظ أن الشاعر لم يلتزم بذلك النموذج التركيبي في قوله: (وسالت بأعناق المطي الأباطحُ)، حيث يقتضي التركيب الأصلي أن يقول العكس: (سالت أعناق المطي بالأباطح). وهذا يعني أن الشاعر قد خالف التركيب المعتاد، حيث جعل (الخلفية) في التركيب الأصلي (وهي الأباطح) تصبح في التركيب الأدبي هي (الشكل)، في حين أنه جعل (الشكل) في التركيب الأصلي، وهي (أعناق المطي) تصبح هي الخلفية في التعبير الأدبي، وهذا يعني أنه قد قلب العلاقة المعتادة بين الشكل والخلفية، إذ الأصل أن تتحرك أعناق المطي في الأباطح، ولكن الشاعر قلب ذلك فجعل الأباطح تتحرك في أعناق المطي. إن هذا يعني بلاغياً أنه قد "يُتلاعَب بعلاقات الشكل والخلفية، حيث يمكن أن يصبح الشيء نفسه هو (الشكل) في سياق، و(الخلفية) في سياق آخر"[1]،

---

(1) ***Cognitive Poetics An introduction***, **Peter Stockwell**, **p 16**.

ولتفسير ذلك إدراكياً يمكن القول بأن هذا العدول الأسلوبي لا يخلو من غرض بلاغي يكشف عن انشغال الشاعر بفكرة الوصول والعودة، وذلك أنه بعد إتمامه النسك، ومغادرته أرض الحرم، في شوق شديد للعودة نحو الديار، ولذا كان تركيزه ليس على الناس ولا على المطي، وإنما على الطريق، حيث جعل الطريق (الخلفية) هو الذي يتحرّك، فالأباطح هي التي تمضي وتسير. إن اهتمامه في تلك اللحظة منصبّ على الأباطح/الخلفية التي يسيرون نحوها، فهي طريقهم إلى وصول مرابع الأحبة ومراتعهم. وانشغاله بفكرة الوصول جعله يركز على ما يتجاوزونه من الأباطح والأودية (الخلفية)، حيث جعلها محلّ التركيز وموضع الاهتمام.

لقد انعكس هذا الإدراك في صوغه البلاغي فخالف بسبب ذلك أصل التركيب المعتاد. لقد قام بوصف المشهد من خلال ما تركّز عليه إدراكه البصري لحظة الركوب على ظهر الدابة، حيث إن عينيه في تلك اللحظة كانتا تركّزان على الطريق الذي أمامه، ولذا أدرك (عنق المطية) ثابتاً، و(الأباطح) متحرّكة، فبدَتْ له الصورة تبعاً لذلك أن الثابت هو عنق الناقة، وأن المتحرّك هو الوادي، فلأن هذا هو موضع اهتمام وتركيز عيني الشاعر وعقله في تلك اللحظة فقد جاء صوغه اللغوي منسجماً مع وعيه وإدراكه البصري آنذاك.

5. أنموذج تطبيقي:

أولاً: النص:

بعد ظهورها "بدون عباءة" في الرياض..
مناهل العتيبي بجلسة تصوير في شارع التحلية

(دبي، الإمارات العربية المتحدة– (CNN) : تظهر الفتاة السعودية التي قالت إنها خرجت بدون عباءة في شوارع الرياض في أغسطس/آب الماضي في مقابلة تلفزيونية قالت إنها مع قناة وصفتها بـ"العالمية" في العاصمة السعودية.

ونشرت مناهل العتيبي تغريدة عبر صفحتها الرسمية على موقع تويتر قالت فيها: "من خلف الكواليس، ترقبوني قريبا في جلسة تصوير لإحدى القنوات العالمية ومن وسط الرياض تحديدا شارع التحلية."

أرفقت العتيبي تغريدتها بمقطع فيديو من موقع التصوير وكانت تظهر فيه بدون عباءة، لتتباين التعليقات من قبل المغردين بين من تمنى لها التوفيق ومن انتقدها.

أثارت الفتاة السعودية جدلا كبيرا عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بعد أن نشرت مقطع فيديو قالت فيه إنها تتجول في أحد شوارع الرياض وهي ترتدي ملابس رياضية دون أن تتعرض لأي مضايقات.

وقالت حينها في التغريدة: "أمس كان يوم حظي نمت وأنا جداً سعيدة وصحيت وأنا أسعد ومن السعادة رحت أشطب شوارع الرياض شارع شارع وحارة حارة ومن خلال تشطيبي وتعاملي مع الدوريات والمرور وردة فعلهم المحترمة معي اكتشفت إن

النظام فعلاً تعمم، وإن ولي العهد كان صادق لمن قال (يحق للمرأة أن ترتدي مثل الرجل)."

ومنذ ذلك الحين، دأبت العتيبي على نشر صورها داخل الصالة الرياضية، ووجهت رسائل عدة تشجع فيها النساء السعوديات على الخروج بدون بعباءة وتطلب من مجتمعها تقبل ذلك)[1] .

ثانياً: التحليل :

من الواضح أن الخبر يتحدث عن فتاة ستستضيفها إحدى القنوات العالمية بعد أن خرجت إلى الشارع دون عباءة. وسأحاول أن أقدم تحليلاً لهذا الخبر بالنظر إليه في ضوء ثنائية الشكل والخلفية، من أجل استنطاقه لغوياً وبلاغياً لمعرفة الوعي الإدراكي الذي انطلق منه صانع الخبر.

ولنبدأ بالنظر إلى الخطاطات التصويرية أو النماذج التركيبية التي انبنى عليها الخبر. إن أي أنموذج تركيبي يتكوّن عادة من الآتي:

(الشكل + علاقة + الخلفية)

وإن شئنا تأمل الجمل التي بُني عليها الخبر لاستكشاف الأنموذج التركيبي المهيمن على صوغه، ولمعرفة الوعي والإدراك المهيمن الذي كان وراء صياغته وتحريره، فإن الجمل التي وردت في الخبر يمكننا تلخيصها في الجدول الآتي:

---

(1) النص هو خبر منشور في موقع CNN العربي بتاريخ الاثنين، 02 سبتمبر / ايلول 2019 .

الشكل	العلاقة (فعل في)	الخلفية
الضمير (ها)	ظهورها بدون عباءة	في الرياض
مناهل العتيبي	بجلسة تصوير	في شارع التحلية
الفتاة السعودية	خرجت بدون عباءة	في شوارع الرياض
الفتاة السعودية	تظهر في مقابلة تلفزيونية	في العاصمة السعودية
مناهل العتيببي	بجلسة تصوير لإحدى القنوات	من وسط الرياض وتحديداً شارع التحلية
العتيبي	تظهر بدون عباءة	من موقع التصوير (في الرياض)
الفتاة السعودية	أثارت جدلاً	في مواقع التواصل الاجتماعي (في السعودية)
وهي	ترتدي ملابس رياضية	في أحد شوارع الرياض
رحتُ (المتكلم هي العتيبي)	أشطب	شوارع الرياض شارعا شارعاً وحارة حارة
دأبت العتيبي	على نشر صورها	داخل الصالة الرياضية (في الرياض)
ووجهت (العتيبي) رسائل عدة	تشجع فيها النساء السعوديات على الخروج بدون بعباءة	(في السعودية)

ملحوظة: ما بين القوسين في الجدول يُفهم ضمناً من الكلام

يكشف الجدول عن أن الأنموذج التركيبي الذي خضعت له صياغات الخبر تبدو بهذا الشكل:

الشكل (وهو الفتاة) + فعل في + الخلفية (وهي السعودية)

إن تأمل (الشكل) مع (الفعل) فقط في الجدول أعلاه يجعلنا نرى الخبر عادياً مألوفاً يقع بشكل يومي في أماكن عدة من العالم، فأن تمشي المرأة في الشارع دون تغطية الشعر، أو أن تحضر جلسة تصوير تلفزيونية، أو أن ترتدي ملابس رياضية..الخ، هذا الأمر يحدث كل يومٍ في دول العالم. ولا يمكن أن يكون الخبر قد جاء فقط للإخبار بوقوع ذلك، لأن الخبر الإعلامي يفترض به أن يقدّم جديداً للمتابعين. وهذا يعني أن (الشكل) و(الفعل) وحدهما لا يكفيان لأن يكونا هما الخبر الذي جاءت الوسيلة الإعلامية للإبلاغ بوقوعه. وعلى هذا يمكن القول إن الاهتمام منصبّ أكثر على مكان وقوع الفعل (الخلفية)، وهي شوارع الرياض.

إن (الشكل) (والفعل) قد يكونان أحياناً شيئاً معتاداً في ذاتهما لا يلفتان النظر، ولا يثيران الانتباه أو الاستغراب، فعندما نقول مثلاً: (أشرقت الشمس)، فهذا (الخبر) يبدو عادياً مألوفاً يحدث كل يوم، وعندما نقول (اشتعلت النار) يبدو هذا (الخبر) كذلك مألوفاً ويحدث مرات متعددة في حياتنا دون أن يلفت الذهن. ولكن هذا الأمر المعتاد عندما يقع في مكان غير معتاد (الخلفية) فإنه يصبح لافتاً للنظر، فعندما نقول مثلاً في وصف احتراق ناقلة نفطية: (اشتعلت النار في البحر) فإن هذه الصياغة لا يستغرب قائلها حدوث الاشتعال في ذاته، وإنما في مكانه، فالبحر يتضمن الماء الذي يطفئ النار عادة، فكيف تشتعل النار في الماء؟ وهذا يعني أنه يصف وقوع حدث مستغرب يستحق الإخبار والنقل.

ونظير ذلك ما جاء في الحديث الشريف عن أمارات الساعة، حيث أخبر عليه الصلاة والسلام بأن مِن بينها (خروج الشمس من مغربها)، فالغرابة في الخبر ليست

في خروج الشمس فقط، فهي تخرج كل يوم، ولكن في موضعه ومكانه. إن هذا يعني أن (الخلفية) هي التي جعلتنا ننظر إلى الخبر على أنه ينقل حدثاً استثنائياً غير معتاد.

وهذا هو ما يشير إليه الأنموذج التركيبي الذي صيغ به الخبر كما يوضّح الجدول أعلاه، إذ يعكس وعي كاتب الخبر والقناة الإعلامية بوقوع تحوّل نوعي للمرأة في السعودية، حيث أصبحت المرأة بكامل حرّيتها، فتفعل ما تشاء في أي مكان تشاء، وكل الأفعال المذكورة في الجدول أعلاه هي شكل من أشكال التحرر الذي يحاول الخبر إبرازها. إن هذا يعني إمكانية اختزال جميع الجمل في الجدول السابق في الجملة الكبرى الآتية:

الشكل	العلاقة (فعل في)	الخلفية
المرأة	تتحرّر في	السعودية

وإذا نظرنا إلى الكيفية التي يتحدث بها الخبر عن (الشكل = المرأة)، فإن الملحوظ أن الخبر عندما يتحدث عن الفتاة فإنه يحاول التأكيد على أمرين مهمين، أولاً: الانتماء الجغرافي، حيث ذكر ذلك ثلاث مرات بقوله: (الفتاة السعودية)، وثانياً: الانتماء القبلي بذكر اسم القبيلة (العتيبي) خمس مرات، وذلك للتأكيد على التحوّل الذي يراه كاتب الخبر في منظومة القيم التي كانت تحكم حياة المرأة السعودية، إذ بدأت التخلّص من قيم القبيلة والمنطقة، وذلك بعدما كان وضعها محكوماً بالقيم القبلية والمحلية. إن ذكر اسم القبيلة والدولة مع الفتاة هو تأكيد على حدوث ذلك التحوّل النوعي الذي يراه كاتب الخبر، فلم يكن معهوداً أن تقوم فتاة تنتسب إلى ذلك المكان، أو إلى إحدى القبائل العربية المعروفة بمثل هذا الفعل. لهذا أكّد الخبر إسناد هذه الأفعال والأحداث الجديدة إلى الفتاة منسوبة مرة إلى السعودية وأخرى

إلى القبيلة، تأكيداً منه على تجاوز المرأة السعودية حدود الوعي القبلي والفهم المحلي الإقليمي اللذين كانا يحكمان حياتها.

وإذا نظرنا إلى (الخلفية = السعودية) في الخبر فإننا سنلحظ تكرارها أكثر من مرة بأشكال مختلفة مصرّحا بها أو مفهومةً من السياق (انظر الجدول)، فمرة يذكر الدولة (السعودية)، ومرة يذكر المدينة (الرياض)، ومرة يذكر الشارع (شارع التحلية)، وهذا التفصيل في ذكر (الخلفية) يأتي للزعم بأن الفتاة السعودية أصبح بإمكانها أن تفعل ما تشاء في أي مكان على الأراضي السعودية، وقد أكد الخبر ذلك على لسان الفتاة التي كانت تسير بملابسها المتحرّرة في الرياض (شارعاً شارعاً وحارة حارة).

ويأتي اختيار العاصمة مرة باسمها (الرياض) ومرة بوصفها (العاصمة السعودية) لأنها مركز الدولة، فلا يحدث في أي عاصمة من العالم عادة إلا ما يُسمح بحدوثه في أي مكان آخر من الدولة، وهو ما يشير إلى رؤية كاتب الخبر إمكانية تكرار هذا الفعل في أي مكان آخر من البلاد. يُضاف إلى ذلك، أن العاصمة الرياض تمثل منبع التصور الذي حكم حياة المرأة السعودية خلال السنوات الماضية، فالرياض هي عاصمة نجد المعروفة بمحافظتها، وهي مركز الدعوة السلفية دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وحدوث هذا التغيير هناك يؤكد حالة التحوّل النوعي الذي تشهده المرأة السعودية، فقد انعتقت الفتاة كما يرى كاتب الخبر من القيم الاجتماعية النجدية، والقيم الدينية السلفية، وأصبح بإمكانها التصرّف بكامل حرّيتها دون قيود ملزِمة.

وإذا كان الخبر قد حرِص على إبراز (الفعل) الاستثنائي الذي قامت به الفتاة، فإن الخبر حرِص في (الخلفية) أيضا على تصوير (ردّ الفعل). وذلك كما هو واضح من خلال هذا الجدول:

جهته	رد الفعل
وسائل التواصل الاجتماعي	تتباين التعليقات من قبل المغردين بين من تمنى لها التوفيق ومن انتقدها
المجتمع	دون أن تتعرض لأي مضايقات
الجهات الأمنية	ومن خلال تشطيبي وتعاملي مع الدوريات والمرور وردة فعلهم المحترمة معي اكتشفت إن النظام فعلاً تعمم
قيادات الدولة	ولي العهد كان صادقاً لمن قال (يحق للمرأة أن ترتدي مثل الرجل)
الإعلام العالمي	تظهر في جلسة تصوير لإحدى القنوات العالمية

إنه لمن الواضح أن الخبر يصوّر ردود الفعل في الخارج (الخلفية) بشكل يعزّز فضاء الحرّية التي تساعد الفتاة ومثيلاتها على المضي قدماً نحو المزيد من التحرّر، حيث يزعم الخبر تقبّل المجتمع فعلها، فهي تسير بملابسها المتحررة (دون أن تتعرض لمضايقات)، رغم أنها تجوب الرياض (شارعاً شارعاً وحارة حارة). وكذلك الأمر فيما يتعلق بردّ فعل رجال الأمن المؤدّب، فهكذا كان تعاملها (مع الدوريات والمرور وردة فعلهم المحترمة). بل إن الخبر يؤكد أن قيادات الدولة العليا، مثل الأمير محمد بن سلمان يدعم هذا التحرّر الذي تمضي فيه هذه الفتاة وتدعو إليه بنات جنسها. وحتى تؤكد هذا الدعم من رأس الهرم السعودي تقوم بنقل كلام ولي العهد السعودي الأمير

محمد بن سلمان بطريقة تتناسب مع وجهة نظرها، حيث تزعم أن الأمير محمد بن سلمان يقول: (يحق للمرأة أن ترتدي مثل الرجل)، بينما نص كلام الأمير محمد بن سلمان كما ورد في لقائه مع قناة CBS هو: (المرأة يجب أن ترتدي ملابس لائقة ومحتشمة كالرجل ، مع ذلك لايحدد بشكل خاص العباءة السوداء أو غطاء الراس الأسود.. القرار متروك تماما للمرأة). ولكن الخبر يُغيّب تأكيد الأمير على الستر والحشمة، ويعيد صياغة مقولته لإبراز تأييد قيادات البلد العليا لحرية المرأة. ويحاول الخبر الإشارة إلى أن الاعتراضات على هذا التحرّر إن وُجدت فلن تكون في الواقع الحقيقي، وإنما في الواقع الافتراضي، وذلك فقط عبر تغريدات (بعض) المنتقدين.

إن الخبر هنا يقول إن الحدث الاستثنائي لا يكمن في فعل الحرية الذي قامت به الفتاة فقط، وإنما في توفّر (الخلفية) والمناخ المناسب الذي يكفل لمثل هذا الحراك المتحرّر النجاح والاستمرار، فالمجتمع ورجال الأمن وقيادات الدولة كلها – كما يدّعي الخبر– تقف موقف التقبّل أو الاحترام والتأييد.

إن هذا التحليل يشير إلى الوعي والإدراك الذي حكم تصوّر صانع الخبر الإعلامي، فلم يكن تركيزه واهتمامه موجّها نحو (الشكل) ولا (الفعل)، وإنما تركّز اهتمامه كثيراً على (الخلفية)، وذلك أن الغرابة والجدّة التي جاء الخبر لينقلها إلى متلقّيه تمركزت حول التأكيد على المكان الذي يقع فيه هذا الحدث، وهو ما كشف عن إدراكه ما وقع بوصفه حدثاً استثنائياً يمثّل تحوّلا نوعياً في مسيرة المرأة العربية، لا من حيث طبيعة وقوعه، ولكن من حيث مكان وقوعه.

إن هذا الأمر يعني أن الخبر قد خالف أصل التركيب الإدراكي، فإن الأصل التركيبي كما سبق وذكرنا أن يكون الاهتمام والتركيز متوجّها نحو الشكل، وهو ما

يكشف عن الصوغ البلاغي الذي حكم الخبر الإعلامي المدروس، ليكشف من خلال تركيزه على الخلفية وقوع حدث استثنائي حسب إدراك صانع الخبر.

الخلاصة:

أشار هذا الفصل إلى ارتباط الإدراك الإنساني بالجانب الحسي والجسدي عند الإنسان، وهو ما يُعرف باسم (الجسدنة). وقد قام هذا الفصل بشرح ذلك من خلال مبدأ (تمييز الشكل من الخلفية) في المدرك بصرياً، وكشف عن تجلّي ذلك في اللغة الإنسانية سواء في مستوى تركيبها الأصلي أو مستواها الأدبي والبلاغي.

حيث اتّضح أن التركيب النحوي ينطلق من فكرة (الشكل والخلفية) من حيث ترتيب عناصر الجملة، أو من حيث اختيار كلماتها. كما أن فكرة الشكل والخلفية تتجلّى في التصور الأدبي الذي يعدّ الشكل اللغوي البارز عن طريق العدول أو التوازي بمثابة الشكل الذي يحظى بالاهتمام، ويجعل العناصر الأخرى بمثابة الخلفية التي تأتي مكمّلة للشكل.

وقد قام البحث بتطبيق هذا المبدأ (الشكل والخلفية) بلاغياً، على نص إعلامي إخباري، واتّضح من خلال تحليل هذا النص أن صانع هذا الخبر الإعلامي قد تركّز اهتمامه على الخلفية، وهو المكان الذي يقع فيه الحدث المنقول، أكثر من اهتمامه بالشكل أو الفعل، وذلك لكونهما يقعان بشكل يومي تقريباً.

الخاتمة

حاول هذا الكتاب تقديم ثلاثة بحوث سعت إلى تقديم دراسات بلاغية تنطوي تحت ما يُعرف مؤخراً بـ (البلاغة الإدراكية). وقد جاء الكتاب بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة في ثلاثة فصول، حاول كل فصل منها أن يتناول جانباً من جوانب الموضوع.

فقد تناول الفصل الأول (التأطير والاختيار الإنساني) محاولاً أن يعرض ذلك بشكل نظري وتطبيقي، وذلك من خلال الموقف من مقاييس الفصاحة بين أنصار التراث البلاغي العربي وبين الدراسات النقدية المعاصرة. وقد عرض البحث ذلك من خلال ثلاثة مباحث تناول الأول منها مقاييس الفصاحة في التراث البلاغي، وتناول الثاني منها موقف المعاصرين من هذه المقاييس، ثم جاء المبحث الثالث ليعرّف بمفهوم التأطير ويكشف أن رأيي القدماء والمعاصرين حول مقاييس الفصاحة قد اختلف بسبب اختلاف اللغة التي تحدّث بها كل فريق عن هذا الأمر، حيث إن اختلاف اللغة قد أدى إلى اختلاف الإطار الإدراكي، فنتج عن ذلك اختلاف الموقف والاختيار لديهما.

أما الفصل الثاني فقد تناول (الاستعارة والبعد الفكري)، وحاول أن يعرض مفهوم الاستعارة في اللسانيات الإدراكية، وتجلّياتها في الخطاب الإنساني كله أدبياً كان أو غير، ثم حاول أن يعرض تأثيرها وتأثرها بالثقافة الإنسانية، وذلك من خلال الخطاب الإعلامي السعودي خلال احتفائه باليوم الوطني السعودي الخامس والثمانين.

وجاء الفصل الثالث ليتناول (ثنائية الخلفية والشكل وتجلياتها الأسلوبية)، مبتدئاً ذلك بتقديم مفهوم الشكل والخلفية في الدراسات الإدراكية، وتمثيلاتها في اللغة

الإنسانية سواء في التركيب الأصلي أو التركيب البلاغي. وقد قدّم هذا الفصل أنموذجاً تطبيقياً ليكشف من خلاله كيف يمكن توظيف هذا المبدأ الإدراكي في الدراسة البلاغية التطبيقية.

هذا ويمكن الإشارة إلى أهم النتائج التي خلص إليها البحث:

- تؤثر اللغة التي نستخدمها في مواقفنا وقراراتنا، وذلك لأن اللغة تصنع أطراً تحدد مواقفنا واتجاهاتنا، وهذا يعني أن تغيير اللغة قد يؤدي إلى تغيير الموقف والقرار الإنساني.
- لا يمكن القول إن علماء البلاغة العربية قد أخطأوا في أهمية مقاييس الفصاحة في الكلام، ولا يمكن أيضاً الاختلاف مع المعاصرين الذين رفضوا هذه المقاييس، لأن من قبِلها فقد قبِلها في إطار الصحة والسلامة اللغوية، ومن رفضها فقد رفضها في إطار الجمال الأدبي.
- ترتبط الاستعارة بشكل أساسي بالتفكير الإنساني، فنحن ندرك الأشياء من خلال الاستعارات التي تحكم عقولنا، وبالتالي فالاستعارة ليست شكلاً لغوياً جمالياً فحسب، وإنما هي بنية ذهنية تحكم طريقة تفكيرنا.
- تبدو الاستعارة ذات فعالية تأثيرية هائلة على مستقبلي الخطاب، حيث تعمل على مخاطبة اللاوعي وتؤثر فيه بشكل خفي أو ظاهر. كما أنها تتأثر بالتراث والثقافة التي أنتجتها، فلا تخلو في الغالب من كونها تمثيلاً لذاك التراث وتلك الثقافة.

- يعدّ الإدراك الجسدي عند الإنسان واحداً من أهم المؤثرات التي تصنع أقوالنا وأفعالنا، ويمثّل مبدأ (تمييز الشكل من الخلفية) المدرك بصرياً واحداً من أهم الأفكار التي تحكم اللغة الإنسانية في مواطن كثيرة، سواء من حيث تركيبها الأصلي أو البلاغي.
- يميل الإدراك الإنساني المعتاد إلى التركيز على الشكل لا الخلفية، ويتمظهر هذا التركيز في عدد من الأشكال التركيبية الأصلية، إلا أنه يمكن أن يُخالَف هذا التركيب المعتاد، وذلك بأن يكون التركيز متوجّها نحو الخلفية أكثر من الشكل لقصد أو غرضٍ بلاغي.
- رغم أن الاهتمام بالدراسات اللسانية الإدراكية قد بدأ حديثاً إلا أن هذه الدراسات تشقّ طريقها بقوة ملحوظة، وهذا يعني أن هذا العلم لا زال موعوداً بالكثير من الاكتشافات والرؤى الجديدة. ومن ثم فإن ما يقدّمه بعض المتخصصين في اللسانيات والبلاغة الإدراكية من ادّعاء إمكانية تفسير أي خطابٍ إنساني إدراكياً عبر المكتشفات الحالية يعدّ –حسب وجهة نظري الشخصية– نوعاً من التساهل العلمي، (لعل من أشهر أمثلة ذلك ما يكتبه العالم الأمريكي جورج لاكوف الذي يحاول تفسير مسارات الخطاب السياسي الأمريكي وتحوّلاته من خلال مبادئ اللسانيات الإدراكية). إن هذا الزجّ بهذا العلم الوليد في مثل هذه المعتركات اليومية المتغيّرة يعكس بالضرورة وجهة نظر الباحث نفسه، ولا يمثّل بالضرورة مكتشفات العلم، وذلك لأن العلم لا زال في بداياته، وكشوفاته الحالية لا تمثّل إلا نزراً يسيراً من عمليات العقل البشري الفعلية، ولذا من الطبيعي ألّا يكون هذا العلم الناشئ قادراً

على تفسير كل عمليات الإدراك الإنساني، والعلم –أي علم– مهما بلغت اكتشافاته فإنها تظلّ جدولاً صغير من بحر العلم الزاخر، كما قال تعالى: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً}، فما بالك بعلمٍ لا يزال في طور التشكّل والتكوين. ولهذا يبدو لي أن الجزم بعزو ما يحدث من تحوّلات في الخطابات السياسية إلى مبادئ (اللسانيات الإدراكية) الوليدة لا يخلو من اجتهادات وتجاوزات يُخشى أن تعود بالضرر على العلم نفسه وتقبّل الناس لحقائقه.

هذه هي أبرز النتائج التي يمكن الإشارة إليها هنا، وفي نهاية هذا البحث أوصي بتناول كل مفهوم وَرَد في فصول البحث الثلاثة بشكل تطبيقي في أطروحة علمية تكشف عن تجليات هذا المفهوم في الخطاب الأدبي أو غير الأدبي.

وفي الختام، أرجو أن يكون ما كتبته في هذه السطور نافعاً ومفيداً، وأن يقدم إضافة علمية جديدة للمكتبة العربية في مجال الدراسات الإدراكية، وأسأل الله تعالى حسن القول والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.،،،

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية :

- استراتيجيات الخطاب والإقناع (خطب الرئيس السادات نموذجاً)، د.عماد عبداللطيف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012.
- الاستعارات التي نحيا بها، جورج لاكوف ومارك جونسون، ت: عبدالمجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1996.
- الاستعارة المرفوضة، د.أحمد يوسف ، مكتبة الآداب، القاهرة ، 2009.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي – بيروت 1425 – 2005.
- الإيضاح ، الخطيب القزويني ، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1408هـ.
- بغية الإيضاح ، عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالجماميز ، مصر ، ط5 ، 1405هـ.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، د.بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1990م، ط3.
- بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، عبدالإله سليم، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2001.

- تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع العدواني، تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت.
- تطور مفهوم الفصاحة ، د.فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت ، 1419– 1999.
- دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410 – 1989، ط2.
- ديوان العباس بن الأحنف . شرح وتحقيق :د. عاتكة الخزرجي .مطبعة دار الكتب المصرية .القاهرة 1373هـ. 1954م .
- ديوان العجاج ، شرح الأصمعي، تحقيق: عزة حسن، مكتبة دار الشرق.
- ديوان الفرزدق ، تقديم: مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1414هـ – 1994م .
- ديوان النابغة الذبياني شرح: غريد الشيخ، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- ديوان امرئ القيس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط5، 1425هـ – 2004م .
- عروس الأفراح في تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي (773هـ)، تحقيق: د.عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ.

- لسان العرب، ابن منظور ، تحقيق: عبدالله الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي دار المعارف – القاهرة د.ت .
- مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، تأليف سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د.عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ.
- المطول شرح تلخيص المفتاح، سعد التفتازاني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1322– 2001، ط1.
- معجم البلاغة العربية، د.بدوي طبانة دار المنارة، جدة، 1408– 1988، ط3.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407– 1987، ط2.
- مفتاح تلخيص المفتاح، ابن مظفر الخطيبي الخلخالي، تحقيق: د.هاشم محمد محمود، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2006م.
- المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي، د.وسيمة مصمودي، دار كنوز المعرفة، عمّان، ط1، 1437هـ.
- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، د.حامد صالح الربيعي ، منشورات جامعة أم القرى 1416هـ – 1996 م.
- من آفاق الفكر البلاغي عند العرب، د.عبدالحكيم راضي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006.
- مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002– 1424، ط1.

- موسيقى الشعر ، د.إبراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، د.ت.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.

ثانياً: البحوث العربية :

- (الأسلوبية العرفانية) ترجمة: رضوى قطيط، مجلة فصول ، العدد 100 المجلد 4/25 ، صيف 2017.
- (المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة) د.تمام حسان، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد 7 العددان 3 و 4، ابريل 1987.
- (انهيار الحاجز بين الدراسات الأدبية واللسانيات، مدخل إلى الشعريات الإدراكية)، مجلة فصول، العدد 100، الإدراكيات، مارجريت هـ. فريمان، ترجمة: محمد سمير عبدالسلام.
- (بعض من مشاريع البلاغة المعرفية، مارك ترنر أنموذجا)، د.عمر بن دحمان. مجلة الخطاب، عدد 21، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي أوزو، الجزائر، 2016م.
- (دور المعرفة الخلفية في التحليل والإبداع) د.محمد مفتاح. مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية العدد 6 ، 1992.
- (طبيعة اللسانيات الإدراكية)، ففيان ايفانز، وميلاني جرين، ترجمة: عبده العزيزي.، مجلة فصول، العدد 100.

- (ما هو علم الدلالة الإدراكي)، محمد الشيمي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد 4/25 العدد 100، صيف 2017.

ثالثاً: الكتب الإنجليزية :

- **Analysing Political Discourse: Theory and Practice, Paul Anthony Chilton, 2004, Routledge, London.**
- **Cognitive Linguistics An Introduction, Vyvyan Evans and Melanie Green, Edinburgh University Press Ltd, 2006.**
- **Cognitive Linguistics and Poetics of Translation, Elżbieta Tabakowska, Cunter Narr Verlag, 1993.**
- **Cognitive Linguistics, an Introduction, Vyvyan Evans and Melanie Green, Edinburgh University Press, 2006.**
- **Cognitive Linguistics, William Croft, D. Alan Cruse, Cambridge University Press, UK, 2004.**
- **Cognitive Poetics An introduction, Peter Stockwell, Routledge, London and New York, 2002.**
- **Cognitive Poetics in Practice. Joanna Gavins and Gerard Steen. Routledge. London. 2003.**

- **Cultural Models in Language and Thought, Dorothy Holland, Naomi Quinn, Cambridge University Press, 1987.**
- **Decoding Political Discourse: Conceptual Metaphors and Argumentation, Maria- Lonela Neagu, Palgrave Macmillan publishing, 2013.**
- **Don't Think of an Elephant!: Know Your Values and Frame the Debate, George Lakoff, Chelsea Green Publishing, Vermont, 2014.**
- **Everyday Conceptions of Emotion: An Introduction to the Psychology, Anthropology and Linguistics of Emotion. J.A. Russell, José-Miguel Fernández-Dols, Anthony S.R. Manstead, Jane C. Wellenkamp. Springer Science & Business Media. 1995.**
- **Framing American Politics, Karen Callaghan and Frauke Schnell, University of Pittsburgh Press, 2005.**
- **Framing in Discourse, Deborah Tannen, Oxford University Press. 1993.**
- **Metaphor in Culture: Universality and Variation. Zoltan Kovecses. Cambridge University Press. 2007.**

- **Metaphor a Practical Introduction. Zoltan Covceses. Oxford University Press, Inc, 198 Madison Avenue, New York, 2002.**
- **Metaphor Implications' and Applications, Jeffery Scott Mio and Albert Katz..**
- **Metaphor in Cognitive Linguistics. Raymond W. Gibbs, Gerard J. Steen. John Benjamins Publishing, Amsterdam– Philadelphia. 1999.**
- **Metaphor, Morality and Politics, Or Why Conservatives Have Left Liberals in the Dust. George Lakoff. In Journal: Social Research. Volume: 62. Issue: 2. 1995.**
- **More than Cool Reason, George Lakoff and Mark Turner, University of Chicago press. USA, 1989.**
- **New Directions in Cognitive Linguistics. Vyvyan Evans and Stéphanie Pourcel. John Benjamins Publishing, Amsterdam– Philadelphia. 2009. .**
- **Perspectives in Politics and Discourse, Urszula Okulska and Piotr Cap, John Benjamins Publishing, Amsterdam– Philadelphia, 2010.**
- **Political Mind, George Lakoff, Penguin Books, New York, 2008.**
- **Psychology: A Self–Teaching Guide, By Frank J. Bruno, John Wiley and Sons Inc, New Jersey, 2002.**

- **Re-Framing the Arab/Muslim: Mediating Orientalism in Contemporary Arab, Slke Schmidt, The Philipps University of Marburg, 2012.**
- **The Ideological Stamp , Rima Malkawi, Writescope Publisher. Melborne, 2012.**
- **The Political Mind: A Cognitive Scientist's Guide to Your Brain and Its Politics, George Lakoff, Penguin Group, New York, 2008.**
- **Thinking Points: Communicating Our American Values and Vision, George Lakoff, Farrar, Straus and Giroux, New York, 2006.**
- **Words, Worlds, and Contexts: New Approaches in Word Semantics, Hans-Jürgen Eikmeyer، and Hannes Riese, Walter de Gruyter, Berlin. New York. 1981.**

رابعاً: البحوث الإنجليزية :

- ***The framing of decisions and the psychology of choice***, A Tversky, D Kahneman, Science **30 Jan 1981: Vol. 211, Issue 4481,**

خامساً: المواقع الإلكترونية:

- موقع CNN العربي بتاريخ الاثنين، 02 سبتمبر / ايلول 2019 ، خبر بعنوان: (بعد ظهورها "بدون عباءة" في الرياض.. مناهل العتيبي بجلسة تصوير في شارع التحلية).

فهرس المحتويات